السلسلة البلاغية
للدكتور سعيد جمعه (٦)

الفكر البلاغي والنقدي في كتاب عيار الشعر

اعداد
د . سعيد أحمد جمعة
عميد كلية الدراسات الإسلامية بالسادات

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٤١٤
ج . س

جمعه ، سعيد أحمد .

السلسلة البلاغة للدكتور سعيد جمعه(٦) / سعيد أحمد جمعه.-ط١.-

دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دار الجديد للنشر والتوزيع.

١٧٢ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .

تدمك : ٩٧٨ – ٩٧٧ – ٣٠٨ – ٧٢٤ - ٢

١. البلاغة العربية .

أ - العنوان.

رقم الإيداع : ٢٤٧٨ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
E-mail: elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com ، elelm_aleman@yahoo.com
الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

فهرس الموضوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم إلى يوم القيامة بإحسان.

اللهم أهدني، وسددني، وأرشدني ، اللهم إني أسألك الهدى والسداد ، والرشاد ، وبعد :

فهذا الكتاب عنوانه: الفكر البلاغي والنقدي في كتاب " **عيار الشعر** " لابن طباطبا العلوي (ت ٣٢٢ هـ) أحاول فيه قراءة فكر هذا الرجل في كتابه المذكور ، ومفاهيمه البلاغية والنقدية .

ولقد كان هذا الكتاب إجابةً عن أسئلة توجه بها بعض الناشئة من الشعراء إلى ابن طباطبا ، فلبَّى رغبتهم ، ورسم لهم الطريق ، وأرشدهم إلى حسن الإبداع وطرائق العرب في الشعر.

كما أن هذا الكتاب يحاول قراءة فكر ابن طباطبا البلاغي والنقدي من خلال المسائل والقضايا التي عرض لها وطريقته في عرضها وتحليلها ورأيه فيها، حتى يتبين للقارئ منزلته بين نقاد عصره.

ولقد ارتسم هذا البحث منهجا يتواءم مع الكتاب محل الدراسة فراوح بين الوصف والتحليل ، والنقد والتفسير ليصل في النهاية إلى ضبط معيار الشعر الذي ينبغي أن يقاس عليه.

وجاءت خطة هذا البحث حاملةً ثلاثة فصول مسبوقة بمقدمة وتمهيد ومتلوة بخاتمة وفهرس .

- **ففي المقدمة أحدد** موضوع البحث ، وعنوانه ، ومنهجه ، وخطته .
- **وفي التمهيد** أعرِّف بابن طباطبا وكتابه .
- **وفي الفصل الأول أتناول** : معالم الفكر عند ابن طباطبا من خلال عيار الشعر.
- **وفي الفصل الثاني**: أتناول المسائل البلاغية ، ومنها:
- (الفصاحة ، والنظم ، والتشبيه ، والمجاز، حسن الابتداء والتخلص ثم الإشارات البلاغية التي عرج عليها سريعا) .
- **أما الفصل الثالث** ، فأتناول فيه : القضايا النقدية ، **ومنها**:
- (ماهية الشعر ، ووحدة القصيدة ،ومفهوم الصدق ، والمعاني المشتركة أو (السرقات) ، والقافية ، ثم الخاتمة، والفهرس) .

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسنات صاحبة ، وموازين حسنات القراء أجمعين ، وأن يكون حجة لنا جميعا ، لا حجة علينا .

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . **د . سعيد جمعة**

التمهيد

ابن طباطبا وعيار الشعر

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا الحسني العلوي أبو الحسن ، يرجع نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما – فهو من العلويين الأشراف ، كان مولده ووفاته بأصبهان [1] ولم يغادرها إلى غيرها، وأخذ العلم والأدب على أئمتها ، وكان مشهورا بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن.

عاش في القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجريين ، وتوفي سنة ٣٢٢ من الهجرة ، وجاءت حياته وسط حركة فكرية وعلمية عظيمة وتكونت لديه شخصية ثقافية ذواقة في اختيار النصوص وقرض الشعر فأبدع الكثير من الشعر ، ودارت بينه وبين أدباء عصره مناظرات ، وكان عبد الله بن المعتز [2]لهجا بذكره ، مقدما له على سائر أهله ، **فكان يقول:**

---

١ - " إصبهان " بكسر اوله: مدينة معروفة من بلاد فارس، سميت بذلك لأن أول من نزلها إصبها بن فلوج بن لمطي بن يافث، ونزل أخوه همذان، فسميت به، وكان اسمه. وقيل سميت إصبهان لأن إصبه بلسان ال: البلد، وهان الفرس، فمعناه بلد الفرسان، ولم يكن يحنل لواء الملك منهم إلا من أهل إصبها، انجدتهم وكانوا معروفين بالنجدة والبأس والفروسية، ونقلت من خط أبي الفتوح الجرجاني ا، إصبه بالفارسية العسر وأن هان معناه: ذاك، فمعنى الاسم: العسر ذاك. – انظر معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري المكتبة الشاملة على الت

٢ - عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (المولود سنة٢٤٧ والمتوفى سنة٢٩٦ قتيلاً بعد أن بويع له بالخلافة ومكث يوما واحداً خليفة)، له كتاب البديع أودعه سبعة عشر نوعاً وعد الاستعارة منها ، كان شاعراً ماهراً فصيحاً مجيداً مخالطاً للعلماء والأدباء، وهو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره مات،... في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله. انظر حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري ٨٦/١.

" ما أشبهه في أوصافه إلاَّ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك[1] إلا أن أبا الحسن أكثر شعرا من المسلمي وليس في ولد الحسن من يشبهه".

ويرى مؤرخو النقد في ابن طباطبا شخصيةً شعريةً جديرةً بالدراسة فهو –وإن لم يكن من فحول الشعراء– إلا أنه أقرب إلى أوسطهم وقال عنه ياقوت الحموي [2]:" إنه شاعر مفلق وعالم محقق شائع الشعر نبيه الذكر".

والناظر في شعر ابن طباطبا يجده مجموعا في تسع وتسعين ومائة نصا يتضمن ثمان وعشرين قصيدةً ، والباقي مقطعات ونتف يصل بعضها إلى بيت واحد ، والغريب أن قصائده تكاد تكون بأكملها في غرض الوصف فهو يصف الطبيعة بكل ما فيها من متحرك وساكن ولعله من الشعراء القلة الذين يتجهون لغرض معين أو موصوفات بعينها ولقد أثنى النقاد على وصفه الليل والنجوم، حيث تفوق في هذا الميدان فمن المعروف أن شكوى الليل وطوله والتوجع لرعي النجوم ،هي ديدن الشعراء، إلاَّ أن ابن طباطبا خالفهم في أنسه بالليل والكواكب ، وبكائه عليها وتوجعه لفقدها،

١ - محمد بن يزيد بن مسلمة بن الخليفة بن عبد الملك بن مروان انظر تاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ٦٦٧.
٢ - صاحب معجم البلدان .

كقوله في إحدى القصائد:

يا ليل مــالك لا تغيث كوكبا ... زفراتها وجدا عليك تقطع

لو أن لي بضياء صبحك طاقةً ... يـا ليل كنت أودّه لا يسطع

حذرا عليك ولقد قدرت بحيلتي ... جرّعته الغصصَ التي تتجرعُ

يا صبح هاك شبيبتي فافتك بها ... ودع الدجــى بسواده يتمتع

أفقدتني أنسـي بأنجمها التي ... أصبحتُ من فقدي لها أتوجّع

ووجد أصحاب كتب المعاني في شعر ابن طباطبا مادةً خصبةً للاستشهاد والاستدلال ، فقد استشهد بشعره ابن المعتز في كتابه البديع والإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ، والثعالبي في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، وغير هؤلاء.

وتظهر ثقافة ابن طباطبا ومعرفته العميقة بأساليب العربية من خلال كتاب عيار الشعر ، وكتبه الأخرى التي تدور حول الشعر ، **مثل كتاب** :

- **سنام المعاني.**
- **والشعر والشعراء .**
- **وتهذيب الطبع .**
- **وكتاب العروض والمدخل إلى معرفة المعمى من الشعر .**
- **وفرائد الدرر.**

ولعل أشهر كتاب له هو : عيار الشعر ، ويرى محققاه[١] أنه :

من أجل الكتب التي كتبت عن الشعر في ذلك العصـر ، كما يريان امتيازه عن غيره من الكتب التي على شاكلته ، لكون مؤلفه شاعراً ولظهور شخصيته ، وذوقه في اختيار النصوص ، والحكم عليها والمفاضلة بينها وبين غيرها .[٢]

و حين تقرأ كتاب عيار الشعر تجده يتميز بالثراء النقدي ، لأنه صادر عن رجل متخصص، تحدث عن الشعر على ضوء تجربته الشعرية ومعاناته في الإبداع ، على عكس نقاد عصـره الذين كانوا علماء في الشعر[٣]، وهذا يعني أن كتاب عيار الشعر يعكس شخصية الناقد المتذوق ، البصير بالشعر ، فالكتاب لبنة من اللبنات التي قامت عليها البلاغة العربية[٤].

كما تأتي أهمية الكتاب على صغر حجمه من جهتين :

الأولى : أنه حاول أن يؤسس للشعر عيارا – قياسا – يميز به الشعر من غيره من جهة ، والشعر من حيث كونه شعرا من جهة ثانية ، وهذا مهم وجديد .

---

١ - عباس عبد الساتر ، ونعيم زرزور .

٢ - مقدمة التحقيق لعيار الشعر لعباس عبد الساتر ونعيم زرزور- دار الكتب العلمية بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م وهي الطبعة التي اعتمد عليها البحث .

٣ - عدا ابن المعتز الشاعر .

٤ - انظر معجم الأدباء / ياقوت الحموي ٢ / ٣٠٩ والأعلام للزركلي ٥/ ٣٠٩وكتاب أصفهان في تراث العرب الأدبي لعبد الرازق حسين بحث في موقع جمعية اللسان العربي الدولية ، والفهرست لابن النديم ١ / ١٥١ وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي – هذبه محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) تحقيق إحسان عباس – نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت لبنان ط ١ ١٩٨٠ ٢ / ٢٣٣ .

والثانية : أن ابن طباطبا – الذي ظهر كتابه في الوقت نفسه تقريبا الذي ظهرت فيه كتب أخرى تعنى بالشعر– (1)، تميز عن سواه في أنه كان يميل إلى تغليب تذوقه الخاص ، أي إلى تجربته الشخصية في كتابة الشعر ، ويظهر هذا في اختياره للنصوص ، والشواهد .

١ - كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، والبديع وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وقواعد الشعر لثعلب، ونقد الشعر لقدامة .
انظر : في الشعرية العربية قراءة جديدة لعيار الشعر د / طراد الكبيسي موقع اتحاد الكتاب على النت .

الفصل الأول

معالم الفكر البلاغي والنقدي في كتاب "عيار الشعر"

الهدف والمؤثرات

حين تقرأ كتاب عيار الشعر في عصـرنا الحاضر تخرج منه بمفهوم يختلف عن قراءته وسط أقرانه من الكتب ، والقراءتان قد تجعلك تحكم له أو عليه ، لكنك حين تقرأ الكتاب وأنت تستحضر عصره ، الذي كتب فيه والفتن التي شاعت فيه ، وما أحاط بالأمة المسلمة ،ولغتها ، وبالشعر خاصة لا شك أنك ستجد الكتاب شيئا آخر .

وإذا كان هذا حال القارئ، فإنني على يقين من أن مؤلف الكتاب – رحمه الله – كان على وعي كامل بما يحيط به ، وبالأمة ولغتها ، وأن القضية عنده ليست قضية شعر وصفته وأدواته إلخ ، بل هي قضية دين وعقيدة .

وما كان لابن طباطبا العلوي الهاشمي القرشي أن يكون فكره في الشعر مجردًا عن إسلامه وعروبته ، بل إن كل فقرة ، وكل فكرة في كتابه وكل جملة إنما هي مرفوضة من هذا الدين وتلك العروبة ، وثمرة من ثمارهما .

لقد جاء ابن طباطبا في وقت ساءت فيه الأحوال على كافة الأصعدة السياسية منها والاجتماعية ، حيث ظهرت فكرة الشعوبية التي فضلت

الجنس الفارسي على الجنس العربي ، بل حاولت القضاء على كل فضيلة تنسب إلى العرب ، وبخاصة أدبهم وفنهم وشعرهم ، فضلا عن عودة عقائد المجوس ، وبدأت الريبة تدخل القلوب من دين الإسلام ، حتى قال الجاحظ[1]،(عامة من ارتاب من الإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية)[2].

وبدأ بغض اللغة العربية يزداد ،وانتشرت العامية ، وانتشـر شعر النفاق، وظهرت فتنة القرامطة ، وفتنة ابن الحلاج . إلخ[3].

في هذا الجو ، وتلك البيئة جاء " عيار الشعر " ، والذي يقول صاحبه

أنه ألفه لأبي القاسم سعد ابن عبد الرحمن، حيث سأله عن صفة الشعر والسبب الذي يتوصل به إلى نظمه،وتقريب ذلك وتيسيره عليه[4].

فبدأ الرجل يتحدث إلى هؤلاء الشعراء المحدثين في عصره ، ويحمل لهم همّه وفكره ، ودينه ، وعقله ، فهؤلاء الشعراء سيكونون بعد زمن يسير هم اللسان الذي يعلِّم ، وهم القدوة التي تحتذي ، وهم حلقة الوصل بين السابقين واللاحقين .

١ - الجاحظ١٦٣ - ٢٥٥ هـ / ٧٨٠ - ٨٦٩ معمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ولاءً) الليثي أبو عثمان.كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته بالبصرة فلج في آخر عمره.وكان مشوه الخلقة، مات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات وقعت عليه.

٢ - الحيوان ٢ / ١٥٨.

٣ - انظر تاريخ الإسلام / الذهبي ٥ / ٢٩٧ وتاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني / ٢٢١.

٤ - انظر تعليق زهير ظاظا على الكتاب في المكتبة الشاملة الصفحة الرئيسية .

والمعروف الذي لاشك فيه أن كل جيل يتعلم اللغة من اللسان الذي سمعه، فإذا تسرب الضعف إلى اللسان المسموع ضعفت اللغة ، وأعني باللسان المسموع هنا شعراء كل جيل ، وعلماءه ،وفصحاءه ، والحارسين لضوابطه والذين أودعوا قلوبهم وألسنتهم سر العربية وجمالها .

من هنا كان وكد ابن طباطبا أن يقوِّم هذا اللسان،وأن يرشده إلى المقياس الذي ينبغي أن يقيس نفسه عليه ، وهو اللسان الموروث من شعر الجاهلية وصدر الإسلام.

ولذلك استشعر ابن طباطبا هذا الواجب الذي يحمله في عنقه كما استشعر حق هؤلاء الشعراء في نقل الأمانة سليمة صافية ، وتقديم كل ما يمكن أن يحفظ عليهم لغتهم ، وشعرهم ، حتى يتهيؤا لحمل هذه المسؤولية .

إن ابن طباطبا أدرك في عصره أن هذا الجيل من الشعراء لا بد أن يقف على تراث الأمة من خلال الشعر ليعرف تاريخه ، وحضارته وأخلاقه ، وأيامه ، تماماً كما يعرف متى يحسُن الكلام ، ومتى يقبح ؟

وما دلائل الحسن ؟ وما أمارات القبح ؟ .

ولقد كان وهو ينقل هذا التراث إلى شعراء جيله حريصاً على أن يتفوقوا ، ويبزوا من سبقوهم ، كما أتاح لهم أن يأخذوا منه ، ويطبعوه بطابعهم ، وفي ذلك إمتاع لا ينكر.

لقد كان يفعل ذلك وهو يدرك الفتن التي كانت تموج في زمانه ، تريد من الجيل أن ينسى شعر آبائه وأجداده ، لذلك كان يلقي الحكمة ، ويضع القاعدة البلاغية ، ثم يُتبعها بسيل جرار من الشواهد ، لأنه لا يريد للعين أن تنظر ثم تمضـي ، بل يريد للقاعدة أن تثبت حين تروى بماء منهمر من الشعر ، لترسخ ، وليتدرب عليها اللسان ، ويسلس لها ، ويأنس بها وإليها ، فكثرة الأمثلة في الكتاب إنما هو لطبع اللسان ، وتقويم الجنان على الصورة المثلى للشعر القديم .

وقد آتت هذه الجهود ثمارها فرأينا في هذا الزمان من العمالقة الكثير الذين حفظوا اللسان العربي ، وصانوه بشعرهم .

حتى جاءت أزمنة وضعت فيه الأمانة عن الأعناق ، وتُرك الشعراء دون إرشاد ، فبدأ الشعر في الأفول ، وأمسى اللسان العربي لا يكاد يبين فالتحديات كثيرة ، والمتربصون باللغة لا حصـر لهم ، وهم يعلمون علم اليقين أن ضرب اللسان العربي وإضعافه هو إضعاف للدين في القلوب وحل للرابطة ، التي تربط هذه الأمة عروة بعد عروة .

ولذلك كان الهدف واضحا أمام ابن طباطبا ، والرؤيا لا غبار عليها والمهمة محددة ، **وهي** : حفظ السليقة اللغوية لأمة العرب ، ورسم طرائق الإبانة عن مكنون الصدور، ووضع القواعد والقوانين التي انطوت عليها هذه السليقة ، كل ذلك من خلال النموذج الأعلى ، وهو اللسان العربي المبين.

ولو سألت: وما وجه ذلك عند الرجل ؟

لقلت: وجه ذلك – كما أرى – هو الإبقاء على الفصاحة والبلاغة التي بلغت المنتهى، والمتمثلة في الشعر الجاهلي، ليتوصل من خلالها إلى المعجزة القرآنية ، **ولذلك يقول الإمام عبد القاهر – رحمه الله** – :

(نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن فظهرت وبانت وبهرت هي أن كان على حد من الفصاحة يقصر عنه قوى البشر ، ومنتهيا إلى غاية لا يطمع إليها إلا بالفكر ، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر – الذي هو ديوان العرب ، وعنوان الأدب ، والذي لا يُشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاوزوا في الفصاحة والبيان ، وتنازعوا فيها قصب الرهان ثم بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل ، وزاد بعض الشعراء على بعض) (١).

---

١ - دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – مكتبة الخانجي القاهرة ت / أبي فهر ص ١٠ .

ويؤكد عبد القاهر أنه من المحال أن يفهم الإعجاز بمعزل عن الشعر وأن من يدرس الإعجاز بمعزل عن الشعر الجاهلي كأنه يُدِر الإعجاز بمعزل عن الإعجاز نفسه ، والإعجاز هو الحجة التي عليها آمن الناس وهي باقية ما بقي التكليف)([1]).

هذا هو الهدف الذي يقف في خلفية كتاب عيار الشعر ، وإن لم يذكر صراحة ، لكنك تلحظه خلف كل فقرة من فقرات الكتاب ، وهو يتحدث عن براعة هذا الشعر، ووجوب حفظه ، والإكثار منه ، كما تراه في كثرة شواهده ، وتحليله ، وتعليقه ، وحرصه على الاقتداء بالأحسن منه .

ذلك هو الهدف – كما أرى – وتلك كانت المؤثرات التي دفعته .

لكن المنهج الذي سلكه ابن طباطبا للوصول إلى غايته له **معالم بارزة** تستطيع أن تضع عليها يدك إذا تتبعت كتابه برفق وأناة .

المعلم الأول: **إتباع سنة العرب في شعرهم** :

لقد ذكر الجاحظ أن (كل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على درب من الدروب ، وشكل من الأشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها)([2]).

---

١ - مراجعات في الدرس البلاغي لأبي موسى / ١٨٦ ط وهبة .
٢ - الحيوان للجاحظ ت / هارون ١/ ٢٣ .

وقد بلغ جيل المبعث الغاية القصوى في البيان (ولا يجوز أن يدعى للمتأخرين – من الخطباء والبلغاء عن زمان النبي " ﷺ " الذي نزل فيهم الوحي ، وكان فيهم التحدي – أنهم زادوا على أولئك الأولين ، أو كملوا في علم البلاغة ، أو تعاطيها لما لم يكملوا له ، كيف ونحن نراهم ، يُخملون عنهم أنفسهم ويتبرؤون من دعوى المداناة منهم ، فضلا عن الزيادة عليهم ؟

هذا خالد بن صفوان(١) يقول :

كيف نجاريهم ؟ وإنما نحاكيهم ، أم كيف نسابقهم ، وإنما نجري على ما سبق إلينا من أعرافهم)(٢).

فابن طباطبا أراد من الشعراء أن يلزموا هذا الأصل ، وأن يسيروا خلف هذا الجيل الذي نزل فيهم القرآن الكريم ، وأن يتبعوهم في معانيهم وألفاظهم ، وتشبيهاتهم ، ونسجهم للشعر ، فهم أهل البلاغة بلا منازع وأصحاب البيان بلا مقارع ، وإن لم يغترف الشعراء من هذه الينابيع الصافية ولم يرجعوا إلى معدن الحسن جاؤوا بتهويمات ، وأشكال فارغة خالية من حقائق البلاغة ، وأصول حركة اللسان ، فلابد أن تطبع الذائقة بطابع العرب

١- خالد بن صفوان بن عبد الله ابن عمرو بن الأهتم أبو صفوان التميمي المنقري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان رواية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ١ / ٤٥٣

٢ - دلائل الإعجاز / ٥٧٥ وانظر مراجعات في أصول الدرس البلاغي لمحمد محمد أبي موسى ١٨٩بتصرف مكتبة وهبة القاهرة ط / الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م

ولابد أن يلهج اللسان بقواعد العرب ، وإذا استطاع الشعراء المحدثون أن يطبعوا قلوبهم ، وألسنتهم بالطابع العربي فلن يقولوا شعرا جيدا فقط ، ولن ينطقوا بالفصاحة والبلاغة فقط ، وإنما يكونون قد نقلوا إلى قلوبهم وعقولهم علم العرب ، وثقافة العرب ، وتجاربهم وتاريخهم ، وأفراحهم وأحزانهم وكل ما يدخل تحت كلمة معرفة عربية لأن هذا كله أودعته العرب في شعرها .

ولقد حكى ابن طباطبا نموذجا لهذا الفكر حين ذكر :

(**عن خالد بن عبد الله القسري**(١) **أنه قال** : حفظني أبي ألف خطبة ثم **قال لي** : تناسها ، فتناسيتها ، فلما أرد بعد ذلك شيئا من الكلام إلا سهل عليّ - ويعلق ابن طباطبا على ذلك بقوله :- فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيبا لطبعه ، وتلقيحا لذهنه ، ومادة لفصاحته ، وسببا لبلاغته ، ولسنه ، وخطابته)(٢).

١ - هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، وكان يزيد بن أسد جده وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ونزل بالشام ثم اشترى خالد بن عبد الله، لما ولي العراق خططا بالكوفة وابتنى بها وله بها عقب وعدد وانظر المعارف لابن قتيبة الدينوري ١/ ٩٢.

٢ -عيار الشعر / ١٦.

كما أن للعرب عادات وتقاليد قد تغمض على الشعراء المحدثين ولا تُفهم معانيها إلاَّ سماعا منهم ، ولهم موروثات أثبتتها الليالي والأيام في نفوسهم حتى صارت عقائد ، حتى وإن أنكرها العقل كزعمهم أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن ، **وفي ذلك يقول الشاعر**[1]:

ولا ينفع التعشير إن حم واقع ولا دعدع يغني ، ولا كعب أرنب

قال ابن الأعرابي : قلت لزيد بن كسوة : من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه جنات الحمى ، وعمار الدار ؟

فقال إي والله ، وشيطان الحماط ، وجان العشيرة ، وغول الفقر ، وكل الخوافي إي والله ، وتطفأ عنه نيران السعالي وتبوخ)[2].

تلك عاداتهم ، والواجب على الشعراء - كما يقول ابن طباطبا – أن يعرفوا سننتهم ، وعاداتهم ليفهموا ما قالوه ، إذا التبس عليهم شيء ولينهجوا نهجهم (لأن هذه الأشياء لا تفهم معانيها إلا سماعا ، وربما كانت لها نظائر في أشعار المحدثين من وصف أشياء تعرض في حالات غامضة إذا لم تكن المعرفة بها متقدمة عسر استنباط معانيها ، واستبرد المسموع منها)[3].

---

١ - لم أقف على قائله .
٢ - عيار الشعر / ٤٣ والتعشير صوت يشبه صوت الحمار ، وكان إذا دخل أحدهم القرية خاف من الجن أو من وباء الحاضرة أشد الخوف ، إلا أن يقف على باب القرية فيعشر ، والدعدع : كلمة تقال عند العشار انظر في هذا المعاني الكبير / ابن قتيبة ١ / ٦٤.
٣ - عيار الشعر / ٤٤.

ذلك ما يسعى إليه ابن طباطبا ، لقد أراد تطويع الذائقة الحديثة والعقلية الحديثة لما جاء عن العرب الأقدمين ، حتى تظل حجة الله ومعجزته البيانية قائمة أبد الدهر (تُعرف في كل زمان ، ويتوصل إليها في كل أوان ، ويكون سبيلها سبيل سائر العلوم التي يرويها الخلف عن السلف ويؤثرها الثاني عن الأول)[1].

(ولا يدرك هذه الحجة الباهرة إلا من علم الشعر – الجاهلي – وعرف بأي شيء يفضل بعضه بعضا ، وكيف ترتقي مراقيه ، حتى تصل إلى الغاية التي لا يجوز لبشر أن يتجاوزها)[2].

ومن هنا تتسرب الذائقة القديمة إلى طباع المحدثين لينسجوا نسجهم ويصوغوا صوغهم ، ويبنوا الكلام كما كانوا يبنون ، ولن يتم ذلك إلا بمعرفة عاداتهم ، وتقاليدهم ، وخصوصياتهم ، ومعتقداتهم .

وهكذا تنتقل الفصاحة من جيل إلى جيل ، ولذلك تراه يسترسل في ذكر أشعارهم ، ويصفها بالبدائع ، والمعاني اللطيفة الدقيقة ، ثم يقول (وهذه الأشعار تجب روايتها ، والتكثر لحفظها)[3].

---

١ - دلائل الإعجاز / ٩.
٢ - مراجعات في الدرس البلاغي / ١٨٦.
٣ - عيار الشعر / ٦٩.

وليس معنى هذا أن ننقل عنهم القبيح والمستكره ، والذي عابوه ، ووصفوه بالنافر والبعيد ، لا ، ليس هذا مقصود ابن طباطبا .

إنه يرمي إلى نقل الطبع الصحيح ، ويقصد إلى الذوق السليم ، سواء في الشعر ، أو في النثر ، فأشعار العرب ونثرهم صادر عن طبع صحيح وسبيلهم في النظم سبيلهم في النثر ، ولا مشقة عليهم في هذا ولا ذاك ، فإذا وردت أبيات مستكرهة الألفاظ ، متفاوتة النسج ، قبيحة العبارة ، التوت معانيها على أصحابها ، وتعقدت بسبب سوء النظم ، فلا تذكر ، ولا تروى ولا تجعل حجة بأن في شعر الأقدمين قبحا ، لأن القاعدة التي ينبغي وضعها نصب الأعين هي : (ليس الاقتداء بالمسيء ، وإنما الاقتداء بالمحسن)[1] .

إن الفكر الذي كان يحكم ابن طباطبا هو نقل اللسان البليغ الفصيح من السابقين إلى اللاحقين من الشعراء – نقل اللفظ ، والمعنى ، والنسج والحبك ، والنقش ، والصياغة . إلخ .

(**روى أحمد بن أبي طاهر أنه قال** : دخلت على أبي تمام[2] ، وهو يعمل شعرا ، وبين يديه شعر أبي نواس[3])

---

١ -عيار الشعر / ١٦.

٢ - أَبو تَمّام١٨٨ - ٢٣١ هـ / ٨٠٣ - ٨٤٥ محبيب بن أوس بن الحارث الطائي.أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنتين حتى توفي بها.كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب وانظر : فهرس شعراء الموسوعة الشعرية ١/ ٣٥١.

٣ - أبو نُوّاس١٤٦ - ١٩٨ هـ / ٧٦٣ - ٨١٣ مالحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء.شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها ، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها. – فهرس شعراء الموسوعة الشعرية ١ / ٤٢٣.

ومسلم[1]، فقلت : ما هذا ؟

قال اللات والعزى ، وأنا أعبدهما من دون الله ، مذ ثلاثين سنة)[2].

هذا ما أراده ابن طباطبا ، وهو الشيء الذي جعل من أبي تمام أبا تمام حتى أنه استخدم في جوابه الاستعارة ، فجعل هواه ، وحبه للشعر ، وعكوفه على شعر أبي نواس ، ومسلم بن الوليد كعكوف العرب على آلهتها ، وجعل إدامة النظر ، وتفقه المعنى ، وطلب الدلالة من وراء الألفاظ ، والبحث عن مكامن اللطف في الشعر كطلب العبد من إلهه ما يريد .

هذا هو الطريق الذي أراد من الشعراء أن ينتهجوه، ولا يحيدوا عنه إنه إتباع سنة العرب في شعرهم وطبعهم ، ومعرفة كل شيء يمكن أن يجعل من الشعر الحديث صورة مطابقة للشعر القديم الحسن .

المعلم الثاني : تحليل النص وتذوقه

وهذا التحليل هو الذي يبرز فكر ابن طباطبا ورؤيته لبلاغة النص،وموطن الإيداع فيه ، وكلما كشف لك سرًا من أسرار اللغة ، وقدرتها على الإبانة كشف لك عن فكره هو ، ورؤيته للإبداع ، ونظرته لمواطن

١ - صريع الغواني - ٢٠٨ هـ / ؟ - ٨٢٣ م مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء أبو الوليد. شاعر غزِل، من أهل الكوفة نزل بغداد فاتصل بالرشيد وأنشده، فلقبه صريع الغواني فعرف به. قال المرزباني: اتصلَ بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان فاستمرّ إلى أن مات فيها.فهر شعراء الموشوعة الشعرية ١/ ١٤٩٨ .

٢ - أخبار أبي تمام للصولي ١ / ٢٢ موقع المكتبة الشاملة على النت .

الحسن ، وكيف يدلف إلى الدقائق الخافية ، ليبرزها ، وانظر إلى صنيعه مع قصيدة الأعشى(١)، والتي قال فيها :

كن كالسموأل (٢) إذ طاف الهمام به	في جحفل كرهاء الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزلة	حصن حصين وجار غير غدار
إذ سامه خطتي خسف فقال له	أعرض عليّ كذا أسمعهما جار
فقال: غدر ، وثقل أنت بينهما	فاختر ، وما فيهما حظ لمختار
فشك غير قليل ثم قال له :	اقتل أسيرك إني مانع جاري
فإن له خلفا إن كنت قاتله	وإن قتلت كريما غير غوار
مالا كثيرا وعرضا غير ذي دنس	وأخوة مثله ليسوا بأشرار
جروا على أدب مني فلا نزق	ولا إذا شمر حرب بأغمار
وسوف يخلفه إن كنت قاتله	رب كريم وبيض ذات أطهار

١ - ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير.من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره.مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره. فهرس شعراء الموسوعة الشعرية المكتبة الشاملة على النت ١/ ٥٤٤.

٢ - السَمَوأل - ٦٤ ق. هـ / ٥٦٠ م السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق.أشهر شعره لاميته وهي من أجود الشعر وفي علماء الأدب من ينسبها لعبدالملك بن عبدالرحيم الحارثي.
هو الذي أجار امرؤ القيس الشاعر من الفرس.

لا سرهن لدينا ضائق مذق وكاتمات إذا استودعن أسرار

فقال تقدمة إذ قام بقتله أشرف سموأل فانظر للدم الجاري

أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها طوعا فأنكر هذا أي إنكار

فشك أوداجه والصدر في مضض عليه منطويا كاللذع بالنار

واختار أدرعه ألا يُسب بها ولم يكن عهده فيها بختار

وقال لا أشتري عارا بمكرمة فاختار مكرمة الدنيا على العار[1]

ثم يعلق ابن طباطبا مرغبا في مثلها،فيقول:

(فانظر إلى استواء هذا الكلام، وسهولة مخرجه، وتمام معانيه ، وصدق الحكاية فيه ، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له من غير حشد مجتلب ولا خلل شائن ، وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه واختصره في قوله : أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها ..... إلخ .

فأضمر ضمير الهاء في قوله :

(واختار أدرعه ألا يسب بها) فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة فيها، ولاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام ، وأبلغ حكاية ، وأحسن تأليف ، وألطف إيماءة)[2].

---

١ - عيار الشعر ص ٤٨.
٢ - عيار الشعر / ٤٩ .

وإذا كانت نظرية النظم هي الممثل الأعلى للفكر البلاغي العربي في شعر العربية ، فإن أساسها تحليل الشعر وتذوقه ، فالتحليل والتذوق هما السبيل إلى كشف كثير من دقائق البلاغة في شعر العربية .

وابن طباطبا وهو يحلل النص يعمد إلى مكامن الدر فيه ، وأمارات الحسن ، أي أنه يعمد إلى أدبية النص ، أو شعرية النص ، أو بلغة الأئمة الكبار يعمد إلى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة .

ولقد كان مخزون ابن طباطبا الشعري الوافر رافدا يستطيع من خلاله أن يوازن ، وأن يضع اليد على مصادر الضوء داخل النص ، لكنه كان كثيرًا ما يذكر الأبيات ثم يمضي دون تعليق ، وليس ذلك إلا لأنه يدرك أن السامع يعي ما يعيه هو ، ويرى ما يراه من حسن ، ويعلم خيوط البديع وتداخلها .

من ذلك ما فعله في حسن الابتداء في قول الشاعر :

لعمرك ما الناس أثنوا عليك ولا مدحوك ولا عظموا

ولو أنهم وجدوا مسلكا إلى أن يعيبوك ما أحجموا [1]

يقول : فقدم معنى ما ساق إليه الابتداء فقال في تمامه :

---

١ - شعر لخلف بن خليفة الأقطع وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ١/ ٣٣٧.

ولكن صبرت لما ألزموك وجدت بما لم يكن يلزم

وأنت بفضلك ألجأتهم إلى أن يقولوا وأن يعظموا)[1]

أو أنه يدرك الحسن والجمال لكن التعبير عنه لا يدرك إلا بالذوق فمن الحسن ما لا يمكن الإبانة عن أسبابه ومعالمه، إنما يعرف بالطبع والدربة وطول الملابسة .

ويرى أستاذي محمود توفيق – أعزه الله – أن (معالم الحسن في البيان درجات ، منها ما يبلغ شأناً لا تكاد الألسنة تقدر على الإفصاح عن سببه لعلو قدره ، وسمو شرفه ، فهو مما يتبينه القلب ، ولا يجد اللسان قدرة على الإيضاح عن تلك الدرجة من الحسن والجمال ، أما ما دون ذلك فإنها غير مستعصية على التعليل والتبيين معًا ، وأنت إذا ما كشفت أسباب كثير من درجات الحسن ، وبقيت منه درجة لشرفها وسموها لا يطاق الإفصاح عنها ، فليس ذلك من التذوق الانطباعي في شيء)[2].

المهم أن ابن طباطبا – رحمه الله – بنى فكره على تحليل القليل من الشعر، وترك الشعراء ليقفوا على مواطن الفصاحة والبلاغة في الباقي لأن

١ - عيار الشعر ص ٢٧.
٢ - نظرية النظم الجرجانية ص ٩ .

ذلك جزء من السليقة التي توجد عند كل واحد منهم ، ولا يمكن أن يشار إلى كل شيء، وبخاصة أن مواطن الحسن والإبداع ظاهرة في كل بيت ، مما يعني أنه كان يعمد إلى التحليل ، وإبراز المطويات من المعاني فقط أو هكذا كان يظن ، لأن ما تركه دون تحليل أكثر بكثير مما حلله .

لكنك تلمح في كتاب عيار الشعر نمطًا آخر من التحليل وهو التحليل المنهجي ، أعني :

أنه بنى الكتاب على فكرة الطباق ، فإذا ذكر شيئا ذكر ضده بعده وإذا استشهد بأبيات حسنة جميلة لطيفة ، أتبعها بأبيات غثة رديئة ، وهذا ضرب من التحليل المنهجي ، وقد يضع ذلك في عنوان واحد ، **فيقول** :

الأشعار المحكمة وأضدادها ، ثم يذكر الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها ، ويردفها بالضد ، وهي الأشعار المتقنة المحكمة المستوفاة المعاني ويذكر الأشعار الغثة التي تصدئ الفهم ،وتورث الغم ،ثم يذكر بعدها الأشعار التي تجلو الهم وتشحذ الفهم .

وفي لفتة أخرى تراه يذكر التقابل في الأجزاء ، فهذا شعر حسن اللفظ واهي المعنى،وهذا شعر صحيح المعنى رث الصياغة ،وتلك أبيات زادت قريحة قائليها ، وهذه أبيات قصرت عن الغايات ، وهذا رديئ النسج ،وبعده شعر محكم النسج .

الذي أريد أن أوضحه هنا أن ابن طباطبا كان يحلل الشعر بالشعر ويوضح الحُسن بالقبح ، ويبرز المساوئ بذكر المحاسن ، كل ذلك من خلال النصوص ولعل ذلك منهج بين الشعراء قل أن تجده بين غيرهم .

المعلم الثالث:تحكيم العقل .

حين تراجع كتاب عيار الشعر ستجد روحا منطقية ، جعلت البعض يدعي تأثره بالمنهج الفلسفي ، أو بأرسطو ، أو أن (عقلانيته تصله وصلا وثيقا بالمعتزلة)[1]، وكل ذلك سببه أن الرجل يريد من الشاعر أن يعد أدوات كثيرة ، منها وضع الأشياء في مواضعها ، **أو كما عبر هو** :

كمال العقل الذي به تتميز الأضداد، ولزوم العدل ، واجتناب القبيح ...إلخ .

تلك هي الآلية التي يتميز بها الشعر الجيد عن الرديء .

وتحكيم العقل عنده ، يعني جماع أدوات الشعر ، وليس معناه العقل المنطقي العلمي ، فهو يرشد إلى أدوات يجب إعدادها قبل مراس الشعر وتكلف نظمه ، فمتى تعصت عليه أداة من أدواته لم يكمل له ما يتكلفه منه

---

١ ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب لإحسان عباس ص ١٣دار الثقافة للنشر بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م.

وبان الخلل فيما ينظمه ، ولحقته العيوب من كل جهة ، وجماع هذه الأدوات كمال العقل الذي به تتميز الأضداد ، ولزوم العدل ، وإيثار الحسن واجتناب القبيح ، ووضع الأشياء في مواضعها)(١).

وهذا معناه قبول الحواس لتذوق الفن في العقل، فالعقل والفهم كلاهما يفضي إلى القبول أو الرفض، وعلة القبول أن الحواس تتقبل ما يتصل بها ، (فكل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها ، والفهم يأنس من الكلام بالعدل الصواب الحق ، والجائز المعروف المألوف ،ويتشوف إليه،ويتجلى له،ويستوحش من الكلام الجائر ، والخطأ الباطل ، والمحال المجهول المنكر ، فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما ، مصفى من كدر العي ، قبله الفهم ، وارتاح له ، وأنس به ، وإذا ورد عليه على ضد هذه الصفة وكان باطلا محالا مجهولا انسدت طرقه ، ونفاه ، واستوحش عند حسه به وصدئ له ، وتأذى به ، وعلة كل حسن مقبول : الاعتدال ، كما أن علة كل قبيح منفي : الاضطراب)(٢).

---

١ - عيار الشعر / ١٩.
٢ - عيار الشعر ٢٠ ، ٢١ .

إذا تحكيم العقل هو في الختام تحكيم للذوق ، ليس أي ذوق ، ولكنه الذوق المثقف الذي يضع الأشياء في مواضعها ، فإذا كانت كل حاسة تقبل ما يتواءم معها ، مما يشاكلها ، فإن الفهم هو المحكم في الكلام ، وهو الذي يدرك الحق المألوف ، ويميزه من الجائر المجهول المنكر ، ويدرك الحسن والصنعة الجيدة من الكلام الذي لاخلابة فيه ، ولا جمال .

إن العقل والفهم والذوق عند ابن طباطبا بمعنى واحد ، بل لو أنك أضفت إليها الصدق لم تكن بعيدا ، المهم أن تحكيم العقل كمعلم ومعيار في فكر ابن طباطبا له حظ وافر .

وتعجب حين ترى الرجل في هذه الجزئية لم يورد شاهدا واحد من الشعر، وكأنه في معرض تثبيت القاعدة ، وعدم شغل الذهن بغير الفكرة بل إنه وضع هذا التصور تحت عنوان :

"عيار الشعر " ، **أي** : عنوان الكتاب ، وكأنه ملخص لكل ما يريده ولذلك عده النقاد صاحب نظرية ذوقية ، وعدوا كتابه ومشروعه كله في النقد مشروعا ذوقيا ، يقوم على دعامتين .

الأولى : الذوق ، وهذا من الناحية النظرية

الثانية : التطبيق الفعلي على القصائد المدروسة .

وقد ذهب الدكتور إحسان عباس إلى أن ابن طباطبا اعتمد على الذوق المعلل في منهجه،وكذا على العقل الثاقب في النقد حتى استطاع أن يكشف العلاقات الجمالية ، ولقد تبين أن الذوق عند ابن طباطبا هو والعقل والفهم سواء ، وأن الرجل أراد أن يبين أن الحكم والمرجع والعيار الذي يقاس به الشعر يجمع هذه الثلاثة ، فالشعر كلام يرد على العقل ، والفهم الثاقب والذوق المسترشد بهما ، فيخرج في النهاية الحكم على الشعر بالحسن أو بالرداءة .

المعلم الرابع:كثرة الشواهد

كان ابن طباطبا يطرح الفكرة أو الرأي ، ثم يلتمس له من الشواهد ما يقوي به هذا الرأي ، أو تلك الفكرة ، ولما كان مخزونه الشعري وافرًا ، بل قل : لما كان شاعرا قد اطلع على شعر العرب ، وحفظ الكثير منه كانت استشهاداته لا تتوقف حتى يقتنع القارئ ، ولا يجد بدا من قبول الفكرة والتسليم لها ، وكثرة هذه الشواهد إنما هو توكيد لها ، وكما يقول ابن رشيق (كلما أكثرت من الشواهد في باب فإنما أريد بذلك تأنيس المتعلم، وتجسيره على الأشياء الذائعة ، ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن ، وقلبوا تلك المعاني والألفاظ)(١).

١ ـ العمدة في محاسن الشعر ١ / ١٢٩ .

فابن طباطبا يأتيك بالأشعار تترى ، ليبرهن لك عن قوة فكرته وصدقه وإصابته ، فهو يشرح لك الفكرة بالمثال ، ويعرّف لك القضية بالمثال ويحلل لك المقصود بالمثال ، فالمثال الشعري هو جل عدته ، في إيصال فكره إلى المتلقي .

وراجع عنده حديثه عن الأشعار المحكمة تراه يحدثك عن الحسن والسلاسة ، والسهولة والانتظام ، وتمكن القوافي ، وعدم التكلف ، ولم يذكر تعليقا على هذه القضايا ، ولم يعرِّفها ، ولم يشرح ، ولم يحلل ، إنما فقط أخذ يتابع المثال تلو المثال ، وكأنما وهو يفعل ذلك يريك ما يراه ، فذكر مائتين وواحدا وثلاثين بيتا من الشعر ، لعشرين شاعرا دون تعليق .

وهذا المنهج منهج يخاطب النفوس ويطبع الذائقة ، قبل أن يخاطب العقل بالإقناع أو الرفض وكأن القضية عنده لا علاقة لها بالقبول أو عدمه،فهو يخاطب الشعراء الصغار الراغبين في صقل موهبتهم ، وتثقيف طباعهم ، وحين تخاطب الموهبة والطبع فعليك بالمثال والشاهد ، فهو الأقدر على إسكان المعاني والألفاظ داخل النفس ، وهو الأقوى على تقويم اللسان وتثقيف الفهم ليثمر .

المهم أن طرح الفكر يبدأ أولا ، ثم يأتي بعد ذلك الشعر منهمرًا على الفكر ليؤصله ، لذلك تراه يقول بعد ذكر مفهوم الشعر وأدواته ، وكيفية صياغته ، وصناعته: (ونذكر الآن أمثلة) .

وهذا الصنيع تراه عند عبد الله بن المعتز في البديع حيث يذكر رؤيته للباب ، وتعريفه له ، ثم يسرد الأمثلة عليه ، ويعلق على بعضها .

وهذا المنهج أراه أعلى وأقوم من عرض كل جزئية ، والاستشهاد عليها بشاهد ، أو اثنين ، ثم عرض أخرى والاستشهاد عليها بشاهد أو اثنين لأن صنيع ابن طباطبا – ومن قبله ابن المعتز – لم يقصد منه دراسة مسائل علمية ، وإنما أريد منه – كما أرى – تربية الذائقة ، وتقويم الألسنة ، وتثقيف الأفهام ، وهذا لا يكون بمثال أو مثالين ، وإنما يكون بذكر المقصود ثم فتح الباب أمام الشعر لينثال على القلوب ، فلا تجد بدا من التطبع به ، ولاتجد مندوحة من الإقرار بالقاعدة الموضوعة ، وماذا يفعل المثال الواحد في العقل والقلب ؟

إن ما قام به ابن طباطبا ، وابن المعتز فضيلة ، لو أنها أعيدت لحصل من ورائها خير كثير .

وليس معنى هذا أن كتاب عيار الشعر مجموعة من الأشعار، وإنما هو مدخل لكتاب آخر هو في الحقيقة مجموعة من الأشعار، وهو كتاب (تهذيب الطبع) .

ولاحظ هذه التسمية " **تهذيب الطبع** " فالأمر في سرد الأشعار مقصود منه الطبع وتثقيفه ، وتهذيبه ، وصقله ، وشحذه ، وقل : كل ما تعرفه ، حتى تصل بالطبع الحديث إلى طباع الأوائل .

وأرجع معك إلى عيار الشعر وأقول: إنه ليس مجموعة من الأشعار وإنما هو تحديد لموازين الشعر الجيد ، وتأطيره ، ورسم حدوده ، سواء كان ذلك بالفكرة البلاغية ، أو بالشواهد الشعرية .

وابن طباطبا كاد يكتفي فيه بالشواهد ارتقاء بطبع هؤلاء الشعراء لأن (تذوق اللغة والقدرة على تلقي خوافي أسرار الشعر والأدب لا بد أن يكون في مستوى القدرة على اصطناعها في الإبانة عن المعاني ، لأن من يحكم اختيار ألفاظه وتراكيبه وصوره لا بد له من ذوق يعينه على ذلك ، ومن هنا كان أعرف الناس بطبقات الكلام أقدرهم على صوغه ، أو من دفع في مضايقه)([1]).

وعلى هذا فإن صنيع ابن طباطبا في كتابه هو الأنموذج الأمثل في مطابقة حال الكتاب لحال المقصودين ، وهم الشعراء ، ولذا قد يغمض على القارئ العادي فكر ابن طباطبا ، وحركة عقله ، وإعراضه عن التحليل والبيان ، ولا عجب في ذلك ، فالكتاب مصنوع للشعراء ، وهم على وعي

---

١ - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية للدكتور أبي موسى / ١٦ .

كامل بمراده حين يتابع بين الشاهد والشاهد دون كلمة أما القارئ الآخر فهو – بلا شك – في أمس الحاجة إلى معرفة وجه الإحكام ، وعلة الإتقان (وتفلية الشعر ونقضه كلمة كلمة ، وتركيبا تركيبا ليتبين مراده بهذا الحكم أو ذاك)(١).

ولم يكن هذا همّ ابن طباطبا في عيار الشعر ، وإنما همه تدريب الناشئة من الشعراء على الشعر القديم ، لتكون البلاغة ذوقا ناشئا من طول المراس وليس من وضع القاعدة ، فكم من قواعد وضعت واستدل عليها بالشاهد الواحد ، أو بالمثال الواحد ، ثم قل ضوؤها ، وخبت نيرانها ، بل كم من قواعد وضعت ثم بحث أصحابها عن مثال لها فلم يجدوا .

لكن هنا في عيار الشعر ترى الشواهد والمختارات هي القائدة لحركة العقل عند ابن طباطبا ، وعند المعنيين بكتابه على حد سواء .

المعلم الخامس : حضور السامع في الفكر :

في كتاب عيار الشعر تلحظ حضور المتلقي وبقوة في فكر المؤلف، حيث يقدم له ما يستفزه من مرغبات في الشعر العربي القديم، وما يبعده عن كل قبيح .

١ - الإعجاز البلاغي لأبي موسى / ١٦.

فالعملية الإبداعية عملية مشتركة بين الشاعر والمتلقي ، وحضور المتلقي في ذاكرة وفكر الشاعر تجعله أيضا يبني الكلام بناءً يناسب حاله ويطابق واقعه ، فتراه يتحدث عن الابتداء بما يعلم السامع ، وما يحسّ به السامع ، وهو حريص على ابتهاجه وإثارته ، **لذلك يقول** :

(وليست تخلو الأشعار من أن يقتص فيها أشياء هي قائمة في النفوس والعقول ، فيحسن العبارة عنها ، وإظهار ما يكمن في الضمائر منها ، فيبتهج السامع لما يريد مما قد عرفه طبعه ، وقبله فهمه ، فيثار بذلك ما كان دفينا ويبرز به ما كان مكنونا ، فينكشف للفهم غطاؤه ، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه، فإن السمع إذا ورد عليه ما قد مله من المعاني المكررة والصفات المشهورة التي قد كثر ورودها عليه مجه وثقل عليه رعيه فإذا لطف الشاعر لشوب ذلك بما يلبسه عليه – لاحظ– فقرّب منه بعيدًا أو بعّد منه قريبا ، أو جلل لطيفا ، أو لطف جليلا أصغى إليه ودعاه واستحسنه السامع واجتباه)(١).

١ - عيار الشعر / ٧٢.

بل إنه يشدد على الشعراء ليتقنوا شعرهم من أجل السامع فيقول:

(فواجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة لطيفة مقبولة حسنة مجتلبة لمحبة السامع له،والناظر بعقله إليه مستدعية لعشق المتأمل في محاسنه،والمتفرس في بدائعه)(١).

إذن هناك سامع ، وناظر ، ومتأمل ، ومتفرس ، والشاعر يعلم ذلك يقينا ، فهو لا يقول كلاما في الهواء ، كما يدعي أصحاب نظرية الفن للفن بل هو يبدع عرائس تُعرض في معارض الحُسن ، وهناك غيرها من الحِسان والنقاد كُثرُ، والناظرون لا حد لهم ، والشاعر يعرف كل هذا قبل وبعد وأثناء إبداعه ،لذلك عليه أن يتريث ، ولا يخرج بديعته إلاَّ بعد مراجعات ونظرات بعد نظرات .

المعلم السادس :تدريب الشعراء .

من معالم الفكر في كتاب عيار الشعر : اعتماد ابن طباطبا منهج التدريب ، لأنه أخذ على عاتقه مهمة طبع اللسان الحديث ، بطابع اللسان القديم في الشعر ، وهذا أمر يحتاج مع العلم صبراً ، وقدرةً على التدريب

١ - عيار الشعر / ٢٣.

وإعادة الأمر مرة بعد مرة ، وممارسة النقد بنفسه ، ولفت الانتباه إلى نقد الآخرين ، وهو في كل ذلك مدفوع بعاطفة دينية ، تظهر من خلال تعليقه على بعض الأبيات ، ولتوضيح هذا كله اسمعه وهو يمارس النقد بنفسه **فيذكر شعرًا حسن اللفظ واهي المعنى كقول الأعشى :**

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يارجل

فيقول : (" ويلي " الأولى تهديد ، و" ويلي" الثانية : استكانة ثم يعلم بعد ذلك أن المستحسن من هذه الأبيات حقائق معانيها لأصحابها الواصفين لها ، دون صنعة الشعر وأحكامه)(١).

ويقول عن بيت كثير عزة(٢):

فقلت لها ياعز كل مصيبة إذا وطنت لها النفس ذلّت

(**قد قالت العلماء** : لو أن كثيرا جعل هذا البيت في وصف حرب لكان أشعر الناس)(٣)، فهو إذا ينقد ، ويذكر رأي العلماء المتخصصين في

١ - عيار الشعر / ٨٨ .
٢ - كثير عزة٤٠ - ١٠٥ هـ / ٦٦٠ - ٧٢٣ م كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية.شاعر متيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطيع له من الإبل حتى يحميه من طيشه وملازمته سفهاء المدينة.واشتهر بحبه لعزة فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حُميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كناها كثير في شعره بأم عمرو ويسميها تارة الضميريّة وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة.
وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكانة ويسر العيش. وتوفي في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل:
مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.
٣ - عيار الشعر / ٨٨ .

الشعر وطرائقه ، ويظل يذكر مثل ذلك ، فهذا بيت في وصف النُوق ولو قيل في وصف النساء لكان أحسن ، وآخر في وصف النساء ولو قيل في وصف الدنيا لكان أحسن ، وهكذا يدرب ابن طباطبا الشعراء ، ويأخذ بأيديهم إلى مكامن الحسن ، ومواطن الخلل ، ووضع الأيدي على المعاني التي تليق هنا ، ولا تليق هناك ، والألفاظ التي تستعذب هنا ، ولا تستعذب هناك وأنواع الشعر الذي صح معناه ، وساءت صياغته ، والآخر الذي حسن لفظه وضعف معناه ، وثالث حسن لفظه ورق ، وصح معناه ولطف وهكذا بلطف وبلين يأخذ بالأيدي ، ويهدي إلى الصواب.

ثم ينتقل في وسط هذا التدريب على النقد إلى التدريب على الأساليب وحسن استخدامها ، وأولى هذه الأساليب عنده التشبيه ، فيقرر له عنوانا ليوضح كيف يتم نقد الأسلوب ، وليس هذا تضاربا ولا خلطا ، لأن(الحديث عن التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلسا سهلا)[1].

١ - عيار الشعر / ٩٣

كان المقصود منه أن يحذو الشعراء في نقدهم للتشبيه حذوهوأن يعرفوا مواطن الخلل في الصورة ، **ففي قول خفاف بن ندبة**[١] **في وصف الناقة :**

أبقى لها التعداء من عتداتها ومتونها كخيوطة الكتان

يقول : (فالعتدات :القوائم ، أراد أن قوائمها دقت حتى عادت كأنها الخيوط ، وأراد ضلوعها ، فقال : متونها)[٢]، فهذا خلل في الصورة ، وبعد وغلو في التشبيه ، إذ كيف يجعل قوائم الناقة – مهما دقت – خيوطا،هذا لا يليق ، ولا يحسن ، كما أنه جعل الضلوع متونا ، وهذا أيضا لا يليق لأنه وضع للألفاظ في غير موضعها .

ثم ينتقل ابن طباطبا إلى ذكر نماذج من أهل البصر بالشعر ، بعد أن ذكر نماذج من نقده هو ، ليقول إن سلوك دروب الشعر وفقهه يحتاج إلى خبير بمزالقه وسقطاته ، **ومن ذلك ما فعلته عزة صاحبة كثير حين قال:**

---

١ - خفاف بن ندبة السلمي٢٠ هـ / ؟ - ٦٤٠ م خفاف بن ندبة بن عمير بن الحارث بن عمرو (الشريد) بن قيس بن عيلان السلمي.
اشتهر بالنسبة إلى أمه ندبة بنت شيطان، وكانت سوداء سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافاً، وهو من فرسان العرب المعدودين، يُكنى أبا خُراشَة، أدرك الإسلام فأسلم وشهد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، ومدح أبو بكر، وكان أحد أغربة العرب، وهو ابن عم الخنساء الشاعرة. وأكثر شعره مناقضات له مع العباس بن مرداس .

٢ - عيار الشعر / ٩٣.

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة   بعيران نرعى في الخلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل   على حسنها جرباء تعدي وأجرب

فقالت له عزة: لقد أردتَ بي الشقاء ، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحال)(١).

فقامت هي بنقده ، وإظهار ما في شعره من خلل ، تماما كما فعلت أم جندب(٢) بنقد بيت زوجها امرئ القيس **حين قال** :

فللسوط ألهوب وللساق درة   وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فقالت : إن فرسا يحتاج إلى أن يستعان عليه بهذه الأشياء لغير جواد)(٣).

وابن طباطبا وهو يذكر هذه النماذج يستحضر في فكره تدريب الشعراء على النقد ، ومداخل ذلك ، سواء من حيث الألفاظ ، أو المعاني .

وبعد هذا ينبغي الوقوف هنا والتنبيه على أن ابن طباطبا كان يعتمد في نقده على اللفتات البلاغية ، وجعل ذلك أساسا لنقده سواء في الصورة

---

١ - عيار الشعر ٩٥ .

٢ - زوج امرئ القيس ، وهي التي حكمت بينه وبين علقمة في المناظرة المعروفة انظر الشعر والشعراء ص ٣٩.

٣ - عيار الشعر ٩٩.

مثل نقده لقول النابغة[١] **في وصف الإبل المسرعة :**

تخدي بهم أدمٌ كأن رحالها علق أريق على متون سوار

أي تسير بهم إبل كأن رحالها دم أريق على متون صوار ، فالصورة هنا بعيدة لذكر الدماء المراقة ، إذ لا يحسن في وصف سرعة السير التشبيه بالدماء المراقة ، كما أن صورة الدماء المراقة على الصوار غير معهودة ، وسرعة سير الإبل معروفة ، فكيف يشبه المعروف الواضح المشاهد بالمخفي الغامض غير المشاهد ، والتشبيه مهمته الأولى إخراج الخفي إلى الجلي ، وليس العكس لذلك قبحت الصورة وبعدت ، فالنقد قائم عنده على تلك اللفتات البلاغية أو استخدام الكلمة في غير موضعها ، كما في بيت المسيب بن علس[٢]:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعربية مكدم

فسمعه طرفة فقال : استنوق الجمل [٣].

---

١ - النّابِغَـةِ الجَعـدِيّ٥٤ ق. هـ - ٥٠ هـ / ٥٧٠ - ٦٧٠ م قيس بن عبد الله، بن عُدَس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى. شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثمَّ نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم، وأدرك صفّين فشهدها مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فَسَيّره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كُفَّ بصره وجاوز المائة. انظر فهرس الموسوعة٨٥١ .

٢ - المسيب بن عَلس٠٠ - ٤٨ ق. هـ / ٥٢٥ - ٥٧٥ م المسيب بن مالك بن عمرو بن قمامة، من ربيعة بن نزار.شاعر جاهلي، كان أحد المقلّين المفضلين في الجاهلية. وهو خال الأعشى ميمون وكان الأعشى راويته. وقيل اسمه زهير، وكنيته أبو فضة.

له ديوان شعر شرحه الآمدي. الموسوعة ص ٨١٩.

٣ - عيار الشعر / ٩٩ .

وكما في قول النابغة الجعدي :

كأن حجاج مقلتها كليب   من السمقين أخلق مستقاها

فقال ابن طباطبا معلقا : والحجاج لا يغور ، لأنه العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب)[1].

فلما نسب الغور إلى الحجج أخطأ في استخدام اللفظة ، وكان عليه أن يقول :

(كأن عيون مقلتها) لأن العيون هي التي تغور

ولا يغيب هنا أن العاطفة الإيمانية كانت تستحوذ على فكر ابن طباطبا فتراه ينتفض ، ولا أقول يعترض على الكميت[2]، حين افترض أن هناك من يعيب عليه مدح رسول الله – ﷺ – **فقال :**

إليك يا خير من تضمنت الأرض   وإن عاب قولي العُيُبُ

فإذا به يستنكر وجود من يعيب عليه هذا ، **ويقول :**

(ولا يعيب قوله في وصف رسول الله – ﷺ – عائب ، إلا كافر بالله مشرك)[3].

---

١ - عيار الشعر / ٩٤

٢ - الكميت بن زيد الأسدي٦٠ - ١٢٦ هـ / ٦٨٠ - ٧٤٤ م الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل.شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها فهرس الموسوعة الشعرية ص ٧٨٦.

٣ - عيار الشعر ٩٨

كما يعيب على سيدنا حسان بن ثابت(1) جعله رسول الله – ﷺ – شيعة لقومه ، والأصل أن قومه شيعة له ، يقول – رضي الله عنه – :

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع

فيعلق ابن طباطبا على هذا في حسم ويقول : (هم شيعة رسول الله – ﷺ ، لأن في هذا الكلام جفاء)(2).

وهكذا تراه وهو يرسم الخطى،ويضع المنارات الهادية، ويعبّد الطريق للشعراء المحدثين ، كي يسيروا ، ويتجنبوا السقطات اللفظية أو المعنوية أو الذوقية ، أو الأخلاقية .

المعلم السابع: إبراز العيوب

في منهج ابن طباطبا إلحاح شديد على إبراز العيوب ، وذكر مكامن القبح في الشعر، لأنها مزالق قد تخفى على المحدثين ، وجوهر التربية النقدية قائم على تبصير الناشئة بمواطن الزلل ، لذلك أخذ شوطا كبيرا في بيان الشعر المستكره الألفاظ ، الغلق القوافي ، والردئ النسج ، وكل ذلك يرسم

---

١ - حَسّان بن ثابِت- ٥٤ هـ / ؟ - ٦٧٣ حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد. شاعر النبي (صلى الله عليه وسلم) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة.
واشتهرت مدائحه في الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام، وعمي قبل وفاته.لم يشهد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) مشهداً لعلة أصابته توفي في المدينة.

٢ - عيار الشعر / ٩٨ .

فكره النقدي والبلاغي في إيجاد شعر خال من العيوب ، ولذلك تراه يحذر من عيوب الأولين ، وعدم السير وراءهم حين يحيدون عن الطريق لأن الاقتداء بالمحسن وليس بالمسيء ، فلا يكن أحدهم إمعه : إن أحسن الشعراء أحسن ، وإن أساؤا أساء .

ومن الشواهد التي نبه على الخلل فيها ما يتعلق بكراهة الألفاظ في قول أبي العيال الهذلي(١):

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

فذكرُ الرأس مع الصداع فضل، كما أن الصداع لا يكون إلاَّ في الرأس)(٢). **ومنها قول الأعشى،"فأصاب حبة قلبها ، وطحالها"(ولقد حكى الأصمعي(٣)**: أن مروان بن أبي حفصة ٤ جاء إلى حلقة يونس ، فسلم ثم قال: أيكم يونس(٥) ؟

---

١ - أبو العَيال الهذلي - ٤١ هـ / ؟ - ٦٦١ م.
أبو العيال الهذلي بن أبي عنترة بن خفاجة بن سعد بن هذيل، وقيل ابن أبي عنثرة.شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمّر إلى خلافة معاوية، وله شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

٢ - عيار الشعر / ١٠٥ ، ونضرة الأغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل ص ٩٤ .

٣ - الأصمعي١٢٢ - ٢١٦ هـ / ٧٤٠ - ٨٣١ معبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي.راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جداً. وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر).

٤ - مروان بن أبي حفصة - ١٨٢ هـ / ٧٢٣ - ٧٩٨ ممروان بن سلمان بن يحيى بن أبي حفصة، كنيته أبو الهيندام أو أبو السمط، ولقبه ذو الكمر.شاعر عالي الطبقة، كان جدّه أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم . فهرس الموسوعة ٢١٣٣.

٥ - يونس بن حبيب، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء، روى عنه سيبويه والكسائي. توفي سنة ١٨٢ ه. انظر: بغية الوعاة ٣٦٥/٢).

فأومأنا إليه ، فقال له : أصلحك الله ، إني أرى قوما يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوأته ، ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر ، وقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ، وإن كان رديئا سترته ، **فأنشده قوله** :

طرقتك زائرة فحيي خيالها   بيضاء تخلط بالحياء دلالها

فقال له يونس : يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعر **من الأعشى في قوله** :

رحلت سمية غدوة أجمالها   غَضْبَى عليك فما تقول بَدا لها

فقال له مروان : سررتني ، وسؤتني .

سررتني بارتضائك شعري ، وساءني تقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله ، فقال له يونس: إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله ، لأنه قال فيها : (فأصاب حبة قلبها وطحالها) .

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه)[١].

تلك معالم الفكر البلاغي والنقدي في كتاب عيار الشعر ، والتي تظهر عقل ابن طباطبا ، ورؤاه ، وما كان يدور في قلبه حين أنشأ هذا الكتاب .

١ - معجم الأدباء لياقوت الحموي- ٣ / ١٤ .

الفصـل الثـاني

المسائل البلاغية في كتاب "عيار الشعر"

وقفة مع العنوان

يقول الشيخ أبو موسى – أعزه الله :–

(واعلم أن علماءنا لم يكونوا علماء في هذا الباب إلا بعد أن درسوا الشعر دراسة جعلته مع سعته وعمقه وتراحبه كأنه قد أجمع لهم ، ووضع تحت أبصارهم ، يرون أفكاره وصوره ، وهواجسه وخواطره ، ولعلمائنا مقاصد وأغراض في تسميات كتبهم ، **ولم يسم الزمخشري كتابه** :

أساس البلاغة إلا وهو يقصد معنى لفظ " أساس " وأن البلاغة لا تبنى إلا على هذا الأساس ، وأن هذه الشذرات البيانية المختاره كأنها متن بياني ، يجب على طالب العلم أن يرتاض به ، وأن يرتاض فيه ، وأن يصقل به لسانه وعقله ولغته ، ونفسه، لأن البلاغة لا وجود لها في نفس ذات حس غليظ، ولا وجود لها إلا حين يوجد القلب الحي ، والنفس اليقظى)(1).

والذي يظهر بوضوح أن ما دفع ابن طباطبا وغيره من النقاد لوضع الكتب التي تضبط حركة الشعر العربي ، وترسم له الخطى هو إحساسهم

1- خصائص التراكيب / ٧ مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ .

بالتغيير الذي تسرب إلى لغة الشعر ومعانيه،وصوره ومراميه،وهذا التغيير لو استمر لضاع الأصل ، وخبا ضوؤه ، فكان لا بد من الحفاظ على الأصل ليقاس عليه ، فوضعوا المقاييس والمعايير التي يقاس بها كل شعر حديث وهذه المقاييس تتخذ من الشعر القديم مرجعا ، وإذا كان لكل شيء تسجيده عله ، - كما يقول الإمام – فإن ابن طباطبا جعل للشعر عيارا يقاس به وميزانا يوزن به ، فالأمر ليس متروكا لكل أحد يستجيد أو يستحسن بل هناك أصول يرجع إليها ، وفقهاء ، وأهل فتوى في الشعر الجيد ، والفرق بينه وبين الشعر الردئ ، وهناك عيار يقاس به الكلام ويوزن ، وهذا يدل على أن علماءنا ينظرون إلى الشعر على أنه جوهر له موازينه ، فلكل كلمة قدرها ، ولكل معنى منزلته ، ولكل صورة مكانتها ، ليس هذا لأنهم أهل لغة ولسان ، ولكن لأنهم أهل تقى ودين .

فالعناية بالشعر ، وإعلاء قدره ، ورفع ميزانه ، والنظر إليه على أنه كالذهب الأبريز ، يوزن ويقاس ، وتوضع له المعايير ليس إلا إعلاء للقرآن الكريم ، وإعجازه .

المهم أن العيار الذي وضعه ابن طباطبا هو الفهم الثاقب ، لأن (الشعر – عنده – عمل عقلي ، وتأثير الشعر في المتلقين تأثير عقلي ، لأنه

مقصود بمخاطبة الفهم ، ووسيلته إلى هذه المخاطبة هي الجمال أو الحسن والسر في كل جمال هو الاعتدال ، كما أن علة القبح الاضطراب ، ولذلك لا يتحقق جمال الشعر إلا بالاعتدال ، أي : الانسجام ، فإذا تم له ذلك كان قبول الفهم له كاملا ، فإذا نقص من اعتداله شيء أنكر الفهم منه بقدر ذلك النقصان ، والفهم هو القوة التي تجد في الشعر لذة ، مثلما كل حاسة تلتذ بما يليها ، وتتقبل ما يتصل بها)[1].

وهذا الميزان لم يخترعه ابن طباطبا ، بل هو الذي تعارف عليه السابقون (فلقد قيل لخلف الأحمر[2] :

إنك لا تزال ترد الشيء من الشعر ، وتقول : هو ردئ ، والناس يستحسنونه !!! ، فقال إذا قال لك الصيرفي : إن هذا الدرهم زائف ، فاجهد جهدك أن تنفقه فإنه لا ينفعك قول غيره : إنه جيد)[3].

المهم أن هناك معيارا ، وميزانا ، ومقدارا ، ومكيالا ، يوزن به الشعر

---

١ - تاريخ النقد العربي لإحسان عباس ص ١٤١ .

٢ - خلف الأحمر؟ - ١٨٠ هـ / ؟ - ٧٩٦ م خلف بن حسان الأحمر أبو محمد وأبو محرز. كان مولى أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، أعتقه وأعتق أبويه.وكان أعلم الناس بالشعر ، وكان شاعراً ، ووضع على شعراء عبد القيس شعراً موضوعاً كثيراً وعلى غيرهم عبثاً بهم، فأخذ عنه أهل البصرة وأهل والكوفة وأخذ النحو عن عيسى بن عمرو وأخذ اللغة عن أبي العلاء.وكان يضرب به المثل في الشعر ، وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة.

٣ - الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ١/ ٩١ ت / محمد محيي الدين عبد الحميد دار المعارف القاهرة ١٩٨٧.

ولما كان الشعر هو أصل العلوم ، ومرتكزها ، كان الاهتمام به اهتماما بالغا ، ووضعت له الكتب ، وحددت له المعايير ، فهذا (قواعد الشعر) لثعلب ، وهذا(الشعر والشعراء) لابن قتيبة ، وهذا (طبقات الشعراء) لابن المعتز ، ومن قبله (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي وهذا (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر ، وهذا (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) لابن رشيق .

وكأن القوم يقفون على الثغور ، وأخطر هذه الثغور هو لسان الأمة ، لذلك تترسوا حوله وحرسوا الشعر ، ودافعوا عنه ضد كل دخيل ، وكان عيار الشعر واحدا من الجنود التي حمت حمى العربية ، ولقد أحسن ابن طباطبا حين اختار له هذا العنوان .

فصاحة الكلمة والكلام في كتاب: عيار الشعر

في حديث ابن طباطبا عن صناعة الشعر تحدث عن اللفظة وضرورة أن تخالط أقرانها ، فلا يصح أن نضع لفظة بدوية وحشية بجوار ألفاظٍ سهلة حضرية ، وكأن للفظة عالما تعيش فيه ، وبيئة تسكن إليها ، فالوحشي مع الوحشي يأنس ويقر ويسكن ، والحضري مع الحضري ينسجم ويتناغم .

لكن العيب كل العيب – في فكر بن طباطبا – أن يخلط الشاعر بين البيئتين فيضع ألفاظا من هنا مع ألفاظ من هناك ، **يقول ابن طباطبا** :

(إذا أسس الشاعر شعره على أن يأتي فيه بالكلام البدوي الفصيح لم يخلط به الحضري المولد ، وإذا أتى بلفظة غريبة أتبعها أخواتها وكذلك إذا سهل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القيادة)[1].

فالقضية إذن في فهم بن طباطبا قضية تلاؤم بين الألفاظ ، وانسجام وبيئة تحيا فيها كل لفظة ، شأنها شأن الإنسان ، وشأن كل شيء يعيش ويتكيف في بيئته ، وحين يختار الشاعر بيئة ، أو سياقا بدويا فليجعل ألفاظه أوابد ، وإن أراد سياق الحضر فليختر من الألفاظ ألينها وأسهلها لأن الألفاظ تحيا في سياق ، وتموت في آخر ، أو تحسن في سياق وتقبح في آخر.

وهذا الفكر أقام عليه الإمام عبد القاهر الجرجاني عمود بلاغة الخطاب ، وهي حسن الدلالة ، وتمام الدلالة ، وتبرج الدلالة ، وأسس على ذلك أن الكلمة لا توصف بحسن ولا قبح ما دامت بعيدة عن سياقها واستشهد على ذلك بالشواهد .

وتلك كريمة من كرائم ابن طباطبا ، حيث وضع أساسا اعتمد عليه الإمام عبد القاهر ، ومن جاء من بعده ، وهو أن الألفاظ لا تعاب من حيث هي ، وإنما العيب في سوء استخدامها ، ووضعها في سياق لا يلائمها.

---

١ - عيار الشعر تأليف محمد بن طباطبا العلوي شرح وتحقيق عباس عبد الساتر مراجعة نعيم زرزور دار الكتب العلمية بيروت ص ١٢ طبعة ١٩٨٢ م ١٤٠٢هـ .

وهذا الفهم تجده عند القدماء مركوزا في طباعهم فسيدنا عمر – رضي الله عنه – **وهو يمتدح زهيرقال :**

" كان لا يعاظل بين القول ولا يتتبع حوشي الكلام " (١)وأصل المعاظلة : حمل الشيء على الشيء(٢)، ففي الكلمة ما يفيد معنى الدخيل ومعنى الخلط بين أمرين خلطا يستوجب النكران والتهجين ،مما يعني أن ابن طباطبا لا يعيب الوحشي ولا البدوي،وإنما يعيب وضع الوحشي مع الحضري،وخلط البدوي مع القروي ، وأكد هذا المعنى بقوله " ولا يتتبع حشوي الكلام "بمعنى: أنه يعرف لكل سياق ما يليق به من الألفاظ فلا يقتصر على الحوشي.

فالغرابة التي عدت من عيوب الفصاحة(٣)، ينبغي ألا تتعلق بالكلمة من حيث هي ، وإنما تتعلق بالسياق والمقام ، وإلا فإننا نحكم على كثير من ألفاظ اللغة بالموت ، ونوصي كل مبدع – شاعراً كان أم غير شاعر – أن يبتعد عن كثير من ألفاظ اللغة بحجة أنها وحشية ، لا يظهر معناها ، وتحتاج إلى من ينقر عن دلالتها في كتب اللغة ، مما يؤدي إلى موت كثير من ألفاظ

١ - النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ت- طاهر الزاوي ومحمود الطناحي المكتبة العلمية بيروت ١٩٧٩ م – ١٣٩٩ هـ ٣ / ٥١٠.
٢- لسان العرب لابن منظور لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري دار صادر – بيروت الطبعة الأولى١١/ ٤٥٦.
٣ - الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني /٧.

اللغة شيئا فشيئا وجيلا بعد جيل ،وهذا ما جعل أبا عمرو بن العلاء[1] وخلف الأحمر يقبلان بين عيني بشار[2] ،حين بنى القصيدة على الغريب **وقال** :

(إنما بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت : "**إن ذاك النجاح**" كما يقول الأعراب البدويون .

ولو قلت : بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة)[3].

إن ابن طباطبا ينظر إلى اللغة كلها نظرة واحدة ، وإلى ألفاظها جميعا

---

١ - الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة. واختلف في اسمه على أحدٍ وعشرين قولاً، والصحيح أنه زبان لما روي أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجوٍ بلغه عنه، فقال له أبو عمروٍ: هجوت زبان ثم جئت معتذراً ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ولد أبو عمروٍ بمكة سنة ثمانٍ أو خمسٍ وستين، ومات بالكوفة سنة أربعٍ وخمسين ومائةٍ، أخذ بمكة: والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخٍ كثيرةٍ منهم أنس بن مالكٍ، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد. وأخذ النحو عن نصر بن عاصمٍ الليثي، وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعة كثيرون منهم: عبد الله ابن المبارك واليزيدي، وأخذ عنهً النحو الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيبٍ البصري، وأبو محمد اليزيدي، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم: أبو عبيدة معمر ابن المثنى، والأصمعي، ومعاذ بن مسلمٍ النحوي وغيرهم. وروى عنه الحروف سيبويه، وكان أعلم الناس بالعربية والقرآن، وأيام العرب والشعر. وكان يونس بن حبيبٍ يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شئ كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء، وقال أبو عبيدة: أبو عمروٍ أعلم الناس بالقراءات العربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وأما حاله في أهل الحديث فقد وثقه يحيى بن معينٍ وغيره وقالوا: صدوق حدة في القراءة وله أخبار حسان، وروى عنه فوائد كثيرة يطول ذكرها.

٢ - بَشّارِ بنِ بُرد٩٥ - ١٦٧ هـ / ٧١٣ - ٧٨٣ مأشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق. كان ضريراً. نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان. اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط، ودفن بالبصرة.

٣ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ت / أبي فهر – الخانجي – القاهرة ص ٢١١ .

بمقياس واحد، فكل الألفاظ فصيحة ، فقط يتوجب على الشاعر(أن يؤلف بين الألفاظ ، ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهرها،ولا يخلط بين البدوي الفصيح والحضري المولد)(١).

ولقد وضع شرطا آخر للفصاحة ، وهو اجتناب سفساف الكلام وسخيف الألفاظ- (والسفساف : نعت مطرد في كل شيء لم يُحكم صنعه أما السخف فرقّة وضعف وخفة)(٢).

وللجاحظ هنا لفتة بديعة لا ينبغي أن تترك، حيث جعل سخيف الكلام يحسن مع سخيف المعاني ، **يقول** :

(ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق ، ولا ألذ في الأسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتق للّسان ، ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا ، إلا أني أزعم- والكلام للجاحظ -أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني ، وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع ، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجذل الفخم من الألفاظ ، والشريف الكريم من المعاني ، كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا ،

---

١ - عيار الشعر ص ١٢.

٢ - غريب الحديث لحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان ناشر جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٢تحقيق : عبد الكريم إبراهيم .

وإنما الكرب الذي يختم على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة ، وكذلك الشعر الوسط والنادرة الوسط ، وإنما الشأن في الحار جدا والبارد جدا) [1] وأخلص من هذا إلى أن ابن طباطبا في كتابه عيار الشعر جعل لفصاحة الألفاظ شروطا قد تضاف **إلى ما ذكره البلاغيون وهي**:

١- مشاكلة اللفظ للمعنى .

٢- انقياد اللفظ لما يراد له.

٣- ألا يكون تعبا ولا مستكرها.

٤- سهولة المخرج أو سهولة النطق.

٥- عدم الخلط بين البدوي والحضري.

٦- سلاسة الألفاظ وانتظامها.

٧- الحسن والاستعذاب.

٨- عدم الحشو بين الكلمات التي تؤلف أسرة واحدة .

٩- عدم الحشو بين الكلمات التي تؤلف أسرة واحدة.

فكل هذه الشروط تجدها في كلام ابن طباطبا وهو يحلل الشعر ويرسم ملامح الحسن فيه.

١ - البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٤٧ ت / المحامي فوزي عطوي دار صعب – بيروت – ط / الأولى ١٩٦٨ م.

النظم في عيار الشعر

تُعد قضية النظم القضية الأم في الدراسات البلاغية القديمة والحديثة ولقد أولى ابن طباطبا هذه القضية أهمية خاصة ، فلا تكاد أبواب كتاب عيار الشعر تخلو من إشارة ، أو تعليق على بناء الكلام ، **فالنظم يُعدّ** :

(نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض ، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك ، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصح)[1].

ويعتبر مصطلح (النسج) هو الأكثر حضورا في فكر ابن طباطبا لأنه يرى الشاعر نسّاجا ، ويرى الشعر نسيجًا ، ويعنى بذلك قوة النظم وإحكامه ومتانته، كما يفهم منه وجود الزينة والحسن والوشي ، فالنسج صورة مكتملة الأركان والألوان والمعالم ، وهي تعيد الذهن إلى عملية بناء الشعر بداية من استحضار الصورة قبل العمل ، ثم وضع الخيوط وتلاحمها وتهذيبها ، وتزيينها ، فالصورة الشعرية أو البناء الشعري ، **يقوم من خلال عملية النظم على ركنين:**

١ - دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ص ٣٥.

الأول : مادة خام تتمثل في الألفاظ والتراكيب والأدوات .

والثاني: الهيئة أو الصورة أو الشكل الذي يظهر من خلال الألفاظ والتراكيب. والعلاقة بين الأمرين علاقة اتحاد، وهذا المقصود موجود عند الجاحظ، وتراه واضحا في جعله الشعر دربا من النسج وجنسا من التصوير.

والبلاغة في حقيقتها قائمة على هذا النسج ، وساكنة في هذا النظم ولا يتصور علوّ كلام على كلام إلا من هذه الجهة (فالكلمات القرآنية هي كلمات عربية من قبل تنزّل القرآن الكريم ، فلم يبدع القرآن الكريم كلمات جديدة لم تعرفها العرب ، وبلاغة القرآن الكريم ليست في أنه جاء بما لا تعرف العرب من كلمات ، بل بلاغته في أنه نَسَجَ بيانه من كلمات تقاذفتها ألسنة العرب من قبل ، وبرغم من هذا كان البيان القرآني بما اصطفاه من مفردات المعجم العربي ونسجه له معجزا ، حتى أنك لو شئت أن تقيم كلمة غير قرآنية مقام كلمة قرآنية بينهما تآخ في المعنى والأداء لتبين لك فرق ما بينهما ، وفضل ما جاء في البيان القرآني على ما اجتهدت في اصطفائه من المعجم العربي على اتساعه)(١).

١ - العزف على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة لمحمود توفيق محمد سعد ص ١١٧.

وهذا ما جعل ابن طباطبا يحتفي بالنظم وجعل الشعر أعلى شأنا من النثر بسبب النظم **حيث يقول:**

(الشعر – أسعدك الله- كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق)(١).

وجعل نظم الشعر هو الإخراج النهائي والصورة الختامية ، وعلى الشاعر أن يُعدّ أدواته قبل مراسه للشعر ، وتكلف نظمه ، حتى يأتي شعره كالكلمة الواحدة نسجا وحسنا وفصاحة وجذالة ألفاظ ودقة معاني وصواب تأليف)(٢).

والسبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب هو معرفة كيف ينظم الشعر ، وتقريب ذلك من الأفهام ، وتيسيره على الناشئة ، لأن للشعر (أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلف نظمه)(٣).

كما أن هناك عيوباً يجب اجتنابها ، لأنها تشين النظم ، مثل:

(سفساف الكلام وسخيف اللفظ والمعاني المستبردة ، والتشبيهات الكاذبة ، والإشارات المجهولة ، والأوصاف البعيدة ، والعبارات الغثة حتى

١ - عيار الشعر ص ٩.
٢ - عيار الشعر ص ١١.
٣ - عيار الشعر ص ١١.

لا يكون ملفقا مرقوعا ، بل يكون كالسبيكة المفرغة والوشي المنمنم والعقد المنظم ، والرياض الزاهرة ، فتسابق معانيه ألفاظه ، فيلتذ الفهم بحسن معانيه كالتذاذ السمع بمونق لفظه.)([1]).

فالنظم يسلك العملية الإبداعية من أولها إلى آخرها، بداية من الشاعر فالمقام ، فالألفاظ ، فالمعاني ، فالصور ، بحيث يكون إطارا جامعا لكل شيء وبذور هذا الفكر لم تبدأ من عند ابن طباطبا ، وإنما تراها عند بشر بن المعتمر ([2])، **حين تحدث عن** :

(ملائمة القول لمعناه كرمًا وخسة ، فمن رام معنى كريما فليلتمس له لفظا شريفا، وإن شرف المعنى لا يعتد به في تقدير النص والحكم عليه وإنما المعول عليه في ذلك موافقة الحال وما يجب لكل مقام،وحديثه عن تسهيل المعاني العالية وإدنائها من الأفهام العامة ، وحاجة ذلك الى البصر بسياسة المعنى ، والاقتدار في صياغته والسيطرة عليه)([3]).

---

١ -عيار الشعر ص ١٢.

٢ - بشر بن المعتمر؟ - ٢١٠ هـ / ؟ - ٨٢٥ م، أبو سهل.فقيه معتزلي مناظر؛ من أهل الكوفة، قال الشريف المرتضى: (يقال: إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه).تنسب إليه الطائفة (البشرية) منهم، له مصنفات في الاعتزال.مات ببغداد.

٣ - خصائص التراكيب لمحمد أبي موسى ص ٤٨ بتصرف – مكتبة وهبة – القاهرة .

فصحيفة بشر ، وتراث الجاحظ ، والمبرد ، وغيرهم كان المَعين الذي استمد منه ابن طباطبا فكره البلاغي والنقدي ، وهذا كله جمعه الإمام عبد القاهر وأودعه كتابيه **" دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة"** وجعل نظم الكلم هو ما يقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيبها في النفس(١).

وإذا كان جوهر النظم ووضع الأشياء في مواضعها ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإن هذا الجوهر كان حاضرا أيضا في فكر ابن طباطبا حين **توجه إلى الشعراء قائلا**: (ولحسن الشعر ، وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها) (٢).

والذي أريد أن أثبته هنا هو أن مفهوم النظم عند هؤلاء جميعا مفهوم واحد ، وبخاصة اتفاق الإمام عبد القاهر مع ابن طباطبا العلوي ، وترى ذلك دون خفاء في تشبيه النظم بالنسج والصياغة والبناء والوشي وأن النظم لا يتعلق بالألفاظ دون المعاني ، وإنما يشملهما جميعا ، فابن طباطبا حلقة من حلقات البناء الفكري البلاغي الذي بدأ بأبي عبيدة معمر بن المثنى وكتابه مجاز القرآن حتى انتهى إلى عبد القاهر الجرجاني فهؤلاء هم الآباء الشرعيون لعلم البلاغة العربية.

---

١ - دلائل الإعجاز ص ٣٥.
٢ - عيار الشعر ص ٢٢.

مصطلحات في فلك النظم

من المصطلحات التي تدور في فلك النظم :

مصطلح :(النقش ، والصياغة ، والصباغة والتأليف)

فابن طباطبا شبه الشاعر بالنقاش ، فقال : (وكالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه ، ويشبع كل صبغة منها ، حتى يتضاعف حسنه في العيان) [١].

وشبه الشاعر أيضا بالصائغ في معرض حديثه عن إعادة صوغ المعاني ونقلها من ميدان النثر إلى ساحات الشعر ، كأن ينقل خطبة ، أو رسالة أو مثل وهو حينئذ كالصائغ الذي يذيب الذهب ليعيد صياغته بأحسن مما كان عليه)[٢].

كما أنه شبه الشاعر بالصباغ فقال:

(وكالصباغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة فإذا أبرز الصائغ ما صاغه في غير الهيئة التي عهد عليها ، وأظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذي قبلُ ، التبس الأمر في المصوغ ، وفي المصوغ على رائيهما ، فكذلك المعاني وأخذها واستعمالها في الأشعار على اختلاف فنون القول فيها) [٣] وهكذا تجد ابن طباطبا وهو يحدثك عن الشعر الجيد والشاعر المجيد ،

---

١ - عيار الشعر ص ١١.
٢ - عيار الشعر ص ٨١.
٣ -عيار الشعر ص ٨٣.

ينقلك إلى عالم الصناعة فتجد الكلمات والمعاني في يد الشاعر تشبه تماما المادة الخام في يد الصانع ، فتراه يصوغها ويهذبها وينقشها ويضع عليها الأصباغ المختلفة لتبدو في أزهى صورة.

وهذه الأمور الثلاثة تتعلق بالصورة والتصوير ، ولما كان الشعر بناءً محكما كان لابد فيه من نظم وتركيب ، وهذا يتعلق بالمرحلة الأولى من إنشاء النص ، ثم يصل إلى مرحلة الصياغة والنقش والصباغة وهي مرحلة التحبير والتجويد والتحسين ، **يقول الإمام عبد القاهر**:

(والمعول على أن هاهنا نظما وترتيبا ، وتأليفا وتركيبا ، وصياغة وتصويرا ، ونسجا وتحبيرا ، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها)[1]، وهذا كله يلخص عملية البناء وإنتاج القصيدة حيث تدخل الأفكار العامة قلب الشاعر ثم يخرجها في صورة أخرى .

ومن المصطلحات التي استخدمها بن طباطبا بمعنى النظم أيضاً مصطلح الاستواء ،ومصطلح التأليف.

---

١ - دلائل الإعجاز ص ٢٤.

ولا يقصد هنا الاستواء بمعنى التمام والاعتدال في الخلق كما ذكر الجاحظ في رسائله([1])، ولا الاستواء النفسي بمعنى أن يظل الشاعر ملتزما بمستوى واحد من النظرة إلى الحياة وقيمتها ،([2])كما أنه لم يقصد بالتأليف ترتيب الكلام ، **وضم بعضه إلى بعض دون فكر وروية كما في قول الجاحظ**:

" جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ، وبين الصدق سببا ، وحبب إليك التثبت.إلخ".

وإنما قصد الاستواء في التأليف، والنسج، والتنسيق ، وحسن التجاور وانتظام المعاني ، واتصال الكلام ، ولا يباعد الشاعر بين الكلمة وأختها ولا يحجز بينهما بحاجز ، وهذا لا ينتبه إليه إلا من دق نظره ، ولطف فهمه **يقول ابن طباطبا** :

(فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصـراع كل واحد منها في موضع الآخر، فلا ينتبه على ذلك إلا من دق نظره، ولطف فهمه...)([3])، وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والنقلة ، فيسمعون على جهة ، ويؤدونه على غيرها سهوا ، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه ، كقول امرئ ألقيس([4]):

---

١ - الرسائل للجاحظ موقع المكتبة الشاملة على النت ص ١٩٩.

٢ - كما ذكر إحسان عباس في تاريخ النقد الأدبي عند العرب الطبعة: ٤ ١٩٨٣ دار الثقافة القاهرة ص ٣٣٠.

٣ - عيار الشعر ص ١٢٩.

٤ - امرؤ القَيس ١٣٠ - ٨٠ ق. هـ/ ٤٩٦ - ٥٤٤ م - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي.

شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر.

قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره.

أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال:

كأني لم أركب جوادا للذة   ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد إجفال

هكذا الرواية ، وهما بيتان حسنان ، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج فكان يروى:

كأني لم اركب جوادا ولم أقل   لخيلي كري كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة   ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال)[١]

ولعلك تذعن لكلامه وتسلم ، وبخاصة بعد أن تُراجع البيتين فالتلاؤم بعد وضع مصراع كل بيت في موضع الآخر، ولكن البيتين حين عرضا على المتنبي[٢]

رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة.ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح فأقام فيها إلى أن مات انظر فهرس الموسوعة الشعرية على موقع مشكاة / ٩٣٦.

١ - عيار الشعر /١٢٩.

٢ - المُتَنَبّي٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٥ - ٩٦٥ م

أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب.الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة المعاني المبتكرة.ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس.قال الشعر صبياً، وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الإخشيد فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه.وفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه.

قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز.عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسّد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد.

وهو أرسخ قدما في الشعر من ابن طباطبا رأى فيهما رأيا آخر، وقال مالم يقله .

يروي الثعالبي (أن سيف الدولة،[1] استنشد أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

وكان معجبا بها، كثير الاستعادة لها ،فاندفع أبو الطيب ينشدها فلما بلغ قوله فيها:

وقفت وما في الموت شكك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتُقد على امرئ القيس بيتاه كأني لم أركب جوادا للذة...إلخ.

وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، **وكان ينبغي لامرئ القيس أن يقول :**

(وذكر رواية التعديل كما هي عند بن طباطبا) ولك أن تقول :

---

١ - سيف الدولة الحمداني٣٠٣ - ٣٥٦ هـ / ٩١٥ - ٩٦٧ م علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة- الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه. يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر!ولد في ميافارقين (بديار بكر) ونشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة.وملك واسطاً وما جاورها. ومال إلى الشام فامتلك دمشق. وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ، وتوفي فيها. ودفن في ميافارقين.

وقفت وما في الموت شكك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

ذلك نقد سيف الدولة للمتنبي، فما ذا كان تعليق المتنبي؟

لقد قال : (أيد الله مولانا**!** إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البزار معرفة الحائك لأن الحائك يعرف جميلته وتفاريقه لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبيه.

وإنما قرن امروء القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء.

وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المهزوم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكيه قلت :

" ووجهك وضاح وثغرك باسم" لأجمع بين الأضداد في المعنى، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها فأعجب سيف الدولة بقوله، ووصله)(١).

١ - يتيمة الدهر للثعالبي ٥١.

ومن المصطلحات التي تناولها ابن طباطبا أيضا بمعنى النظم :

(الكسوة واللباس) فالكسوة عنده تعني:بناء الكلام ونظمه وصوغه فللشاعر أن يلبس المعنى الألفاظ التي تطابقه ، وإذا تناول معنى سبق إليه أبرزه في كسوة أحسن من كسوته.

كذلك مصطلح البناء، وما يشتق منه، وقد نظر الشعراء إلى الشعر على أنه بناء ، وسُمّى السطر الشعري بيتا ، **يقول الإمام عبد القاهر** :

(إن المعاني الشريفة اللطيفة، لا بد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال على سابق)(١).

بل إنك حين تستحضر التجربة الشعرية، **كما يعبر ابن طباطبا تراها تحتاج إلى** : تمخيض المعنى ، ثم إعداد الألفاظ التي تطابقه ، ثم استحضار القوافي والأوزان التي يسلس فيها المعنى ، وكل ذلك إعداد لعملية البناء حتى المفردات التي تتآخى مع البناء تراها حاضرة في كتاب عيار الشعر **مثل**: التأسيس والنقض ...إلخ.

---

١ - أسرار البلاغة / ٥٢.

التشبيه في عيار الشعر

يعد التشبيه في حقيقته أصلا تستمد منه كل الصور، فهو نقطة الانطلاق إلى الصور الأخرى من مجاز أو كتابه ، فلا توجد صورة إلا والتشبيه غذاؤها ورواؤها ، ومفهوم الصورة عند ابن طباطبا يهدف إلى إثراء التجربة الشعرية، وتبصير الشاعر بمكامن الدر وموضع الخبئ فيكون إبداعه مبنيا على بصيرة ، مما يعود على الذائقة العربية ، فتنفتح طاقاتها لتدرك أسرار القرآن الكريم وموطن إعجازه.

وكأن ابن طباطبا وهو يلح في كتابه على تبصير الشعراء والنقاد بأسرار التشبيه وضروبه وأدواته ، والبعيد منه والقريب ، يأخذ بالأيدي ، ويدل على الطريق ، ويضع المصابيح الهادية، والعلامات المرشدة إلى صناعة الشعر وكيف كانت العرب تشبه ، ويوضح طريقتهم وأساليبهم ، وينبه على صدق العبارة وجمال الاستعارة ، ويكثر من الفروق بين نوعين من الشعر ، ليبين مدى التفاوت بينهما ، فهذا صحيح وهذا رثّ ، وهذا زائد عن الحد وهذا قاصر عنه ، وهذا ردئ ، وهذا محكم ، وهو في كل هذا يريك بعينيك الفروق البارزة بين صنعتين، ويربي الذائقة ، ويقوم الحسّ الذي يرنو إلى القرآن الكريم وبلاغته.

ولعلك تلحظ عند القراءة المتأنية للشعر القديم أن الصور التشبيهية هي الغالبة عليه ، حتى أصبح السباق بين الشعراء خارج دائرة التشبيه لأن من البديهي أن يتقنه كل شاعر، ويحسن مدخله ومخرجه ، حتى قال ذو الرمة[١]:(إذا قلت – كأن – ولم أجد وأُحسن قطع الله لساني)[٢].

لذلك كله اهتم ابن طباطبا بالتشبيه ، وأفرد له عدة أبواب ، وحدد جوانبه وضروبه ، وأركانه ، وأدواته ، وجعله أحد معايير الشاعرية والفحولة وسخر له كثيرا من جهده في هذا الكتاب.

وقيمة الصورة في التشبيه تكمن في قدرته على محاكاة الموصوف ونقله نقلا خاصا ، ويرى ابن طباطبا أن للعرب تشبيهات تحكي ثقافتهم وإدراكهم الحسي لما يجدونه في حياتهم ، أي أنها تعبير عن البيئة ، وتجسيد لها ، فهي تشبه الشئ بمثله تشبيها صادقا ، لأنهم يصفون تجاربهم وما رأوه ، وعاشوا فيه من صحراء وجبال، وسماء ، وأودية........إلخ.

١ - ذو الرُمَّة٧٧ - ١١٧ هـ / ٦٩٦ - ٧٣٥ م غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه.فهرس الموسوعة الشعرية /١٢٧٩.

٢ - الحيوات للجاحظ ٢ / ١٤٤.

فهي تشبيهات حسية يُبتغي من ورائها معرفة ما كان مبهما أو غير معلوم ، ولا يفترض ابن طباطبا الخطأ في أشعار القدماء الذين يُحتج بهم بل يستحث المتلقي عل المراجعة والبحث والتفتيش ، فإن فعل عثر على الدرّ الخبء ، وعندها سيعرف فضل القوم ومكانتهم.

وحديث ابن طباطبا عن التشبيه هو إحدى المحاولات الأولى للدراسة عند النقاد الأوائل ،**وقد جاء في كتاب عيار الشعر على النحو التالي:-**

١- طريقة العرب في التشبيه.

٢- ضروب التشبيهات.

٣- أدوات التشبيه.

٤- التشبيهات البعيدة.

ولا تجد لأحد ممن تقدموا عليه تفصيلا كهذا التفصيل، حتى المبرد في "الكامل" حين تحدث عن التشبيه ، **وقسمه إلى أربعة أقسام:-**

(مفرط ، ومصيب ، ومقارب وبعيد)[1]، لم يأتي بما أتى به ابن طباطبا من تحليل وتفصيل للأدوات .

والذي يعنيني هنا هو رؤيته للصورة ومعالجتها ، فابن طباطبا يرى أن الصورة التشبيهية تكون في أرقى منزلة، وأحسن هيئة إذا تكاثرت مواطن

---

١ - الكامل للمبرد ١ / ٢٢١ ت / محمد أبو الفضل إبراهيم – نهضة مصر.

الشبه وتعددت أواصر القربى، والخيوط الجامعة بين المشبه والمشبه به **يقول**:(فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وحسن الشعر به)(١).

ومثل لهذا بقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

ولقد جعل المبرد هذا البيت من التشبيه المصيب لأنه (شبه شيئاً في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين)(٢).

أي أن قلوب الطير الرطبة المجموعة في وكر العقاب تشبه العناب وقلوب الطير الجافة اليابسة تشبه الحشف البالي ، وأوجز الشاعر ذلك واختزله ولم يفصله اعتمادا على فطنة القاري ، **حتى أن المبرد يعلق على ذلك فيقول:**

(فإن اعترض معترض قال: فهلا فصل ، فقال : كأن رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف البالي؟

١ - عيار الشعر / ٢٣.
٢ - الكامل للمبرد ١/ ٢٠٠.

قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوما ، ويرى بعد ذلك من التكرار عيبا ، **قال تعالى – وله المثل الأعلى**:–

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة القصص:٧٣]

علما بأن المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب)(١)

فالمبرد يضع هذه الصورة التشبيهية في أعلى مكان ، وكل منهما آخذ من الجاحظ ، ومستن به ، **حيث قال** :

(ولم نر في التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين في حالتين مختلفتين في بيت واحد ، **وهو قوله**:كأن قلوب الطير.إلخ.

ولقد سار على منواهم الإمام عبد القاهر فجعل هذه الصورة من (النمط العالي والباب الأعظم ، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شئ كعظمه فيه، ومما ندر ولطف مأخذه ودق نظر واضعه ، وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق ، وغاية يعيا من قبلها المذاكي القُرّحُ)(٢).

ثم ذكر البيت وهكذا ترى الفكرة تتسرب من عقل إلى عقل، ولكنها تأخذ من كل عقل تمرُّ عليه إضافة.

---

١ - الكامل ٢ / ١٢٣.
٢ - دلائل الإعجاز /٨٩.

فالفكرة بدأت مع ابن سلام الجمحي في طبقاته حين قال:

(**واستحسن الناس من تشبيه امرئ القيس** : كأن قلوب الطير رطبا ويابسا..الخ (١).

هكذا فقط (استحسن الناس)حتى وصلت إلى عبد القاهر، فجعلها من النمط العالي والباب الأعظم.

ولقد أدار ابن طباطبا حديثه عن التشبيه من خلال عدة محاور:-

المحور الأول:- **طريقة العرب في التشبيه**.

وهذا المدخل هو الغاية التي لا تغيب عنه، فهو يرى أن العرب أودعت كل معارفها في الشعر، ثم اختزلت هذه المعرفة في التشبيه داخل الشعر، ولك أن تتخيل هذا الفكر.

معرفة العرب كلها جُمعت في الشعر، فهو ديوانها كما سبق، وجمع كل شيء من داخل الشعر، ووضع داخل التشبيه، فكان التشبيه هو مفتاح المعرفة وبوابتها ، فإذا أردت أن تعرف شيئا عن العرب – أيَّ شيء - فلن تحتاج إلاَّ أن تقرأ تشبيهاتها .

ثم ينتقل من هذه الفكرة إلى طريقة العرب في التشبيه ، ويحصر ذلك في أنها كانت تشبه الشيء بمثله ، ومعنى أنها كانت تشبه الشيء بمثله- كما

---

١ -طبقات فحول الشعراء / ٨١.

أفهم- أي أنها كانت تحول المجهول إلى معلوم ، والمخفي من الأمور إلى الظاهر منها،والمعنوي إلى المحسوس ، وقل ما شئت حول هذا ، فالعرب تريد من التشبيه البيان، والشرح ، والتوضيح ، وإظهار الغامض ، وإخراج ما استتر في الباطن إلى السطح لتراه العيون ، وتمسكه الأيدي ، وتسمعه الآذان.

تلك هي طريقة العرب في تشبيهاتها، ولذلك كان التشبيه حاملا أختام المعرفة العربية، وموطن سرّها ،وتاريخها ، وعلومها ، وعاداتها.إلخ.

ولكي تكون الفكرة واضحة فإن هذه الطريقة البيانية تنوعت واختلفت درجاتها إلى خمس درجات:-

الأولى:- تشبيه الشيء بالشيء صورة ومعنى ، بحيث إذا عكس لم ينتقص.

الثانية:- تشبيه الشيء بالشيء صورة دون معنى.

الثالثة:-تشبيه الشيء بما يقاربه ويدانيه.

الرابعة:- تشبيه الشيء بالشيء معنى دون الصورة.

الخامسة:- تشبيه الشيء بالشيء مجازا لا حقيقة.

فإن رأيت صورة تشبيهية لا صلة فيها بين المشبه والمشبه به فعليك أن تبحث وتفتش ، ولابد أن ترى خلف تشبيهاتهم من الدلالات ما لطف ودق ، لأن القوم أدق طبعا من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته.

أو يكون السبب في عدم فهمك غياب طبائعهم عنك ، وبعد سُنتهم منك ولذلك غمض عليك الأمر، لكنك حين تعرف سنتهم ستجد لطف موقع ما تسمعه عند فهمك ، وفي أثناء ذلك تحدث عن المثل الأخلاقية عندهم وطالب كل شاعر أن يسلك منهاجهم ويحذو حذوهم.

المحور الثاني: **موطن القوة في التشبيه**

يرى ابن طباطبا أن:

(أحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص ، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثله مشبها به ، صورة ومعنى)(١). وهذا يوضح أن أقوى صور التشبيه عنده هي التي تعددت فيها مواطن الشبه **لذلك يقول** :

(إذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء المشبه به معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي الشبه وتأكد الصدق فيه)(٢).

ومع أنه لم يختلف أحد من البلاغيين في وجود اتفاق ما بين المشبه والمشبه به، إلا أن تحديد المساحة المتفق فيها هي معيار الحسن والقوة عند ابن طباطبا ، فكلما اتسعت مساحة الاتفاق – وكثرت الخيوط الواصلة

---

١ - عيار الشعر / ٣٥.
٢ - عيار الشعر / ٢٥.

والصفات المشتركة حتى يكاد الطرف الأول يطابق الطرف الثاني – حسن التشبيه وعلت رتبته.

ولقد جهدت كي أصل إلى علة ذلك عنده ، فلم أجد إلا رغبته في محاكاة الواقع العربي والبيئة العربية التي تمثل قمة الوضوح ، وولع العرب بالظهور والجلاء والكشف ، وهذا يتلاءم مع الواقع الذي يعيشونه فلم يكن عندهم إلا الصحراء والسماء والدواب.إلخ.

فالواقع الحسي يغلب على كل شيء، ومن ثم لم يكن تصوره للجمال إلا حسّيا ، أو لعله يقصد أن الشاعر كلما كثر إدراكه ، وفطن إلى مواطن الاشتراك علا كعبه في التشبيه.

ويعلق قدامة بن جعفر على ذلك فيقول:

(من الأمور المعلومة ، أن الشيء لا يشبه بنفسه ، ولا بغيره من كل الجوانب ، إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ، ولم يقع بينهما تغاير ألبته اتحدا ، فصار الاثنين واحدا ، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في صفات تعمهما ، ويوصفان بها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدني بهما إلى حالة الاتحاد)[1].

---

١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر/٨٧.

وهذا الفكر الذي يرى الحسن والقوة مرتبطا بالصورة الحسية ، وكثرة الصفات المشتركة أتى عليه الإمام عبد القاهر جملة وتفصيلا ، لأن الحسن والجمال ليس في مقاربة الصورة الحقيقية ولكن في(أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة ، وتعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة)(١).

فالقضية ليست قضية متشابهات حسية – في صورة ، أو لون أو حركة – كما قال ابن طباطبا –رحمه الله– بل الحسن في دقة الفكر، ولطف النظر.

والفنان الأصيل هو الذي يتجاوز ما يحضر العين إلى ما يستحضر العقل ، لأن التشبيه قياس(والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفتى فيه الأفهام ، لا الأسماع والآذان)(٢).

وكأن الإمام يرد كلام ابن طباطبا الذي يقول :

بأن الحُسن في كثرة الصلات،ويؤكد على أن الأمور إذا ظهرت للكافة فلا فضل ولا فضيلة ، ولا حسن ولا إحسان ، لأن التشبيه بين المحسوسات (بيِّن لا يجري فيه التأول ، ولا يفتقر إليه في تحصيله ، وأي تأَّول يجري فيه مشابهة الخد للورد في الحمرة ، وأنت تراها هاهنا كما تراها هناك)(٣).

١ - أسرار البلاغة / ١٣٦.
٢ - أسرار البلاغة /٦.
٣ - أسرار البلاغة ٣٣.

أما قضية العكس ، ووضع المشبه به مكان المشبه دون انتقاص فالإمام يراها من باب الإدعاء والتخييل، والإيهام ، **مثل قوله:**

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

(فجعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصباح ، فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعا ، ووجه الخليفة أصلا)(١).

المحور الثالث:الصدق في التشبيه:

يربط ابن طباطبا بين الصدق ونوع الأداة المستخدمة في التشبيه فما كان صادقا كانت أداته " **كأن أو الكاف** "وما قارب الصدق كانت أداته(تراه،أو تخاله ، أو يكاد) مما يعني أن الصدق في التشبيه عنده هو مقاربة الحقيقة ، لأن (كأن والكاف) تعني قوة الصلة بين المشبه والمشبه به، وشيوع ذلك عند الناس ،حتى لا يكاد ينكر ، أما (تراه ، و تخاله ، ويكاد) فيعني ضعف الصلة ، وقلة الروابط بين الطرفين .

لكن اللافت هنا أنه ربط بين صدق التشبيه ، وأداة التشبيه ، وكأن الأداة تحمل من دلائل القوة الكثير ، لذلك قوي الربط بها عن التشبيه وحين يعبر الشاعر بـ(الكاف أو بكأن) فاعلم أنه ينقل إليك تجربته في قرب الاتحاد

١ - أسرار البلاغة / ٧٨.

بين المشبه والمشبه به ،ولم أجد مثل هذا الربط بين الصدق ، وأدوات التشبيه عند أحد غير ابن طباطبا ، وهذا أمر يحتاج إلى بحث آخر ، يوضح الأمور التي تفرد بها في كتابه .

لكنك في الوقت نفسه تستطيع أن تجد الملامح العامة للجملة التشبيهية وأركانها ، من (مشبه ، ومشبه به ، وأداة تشبيه ، ووجه شبه) داخل كلامه وإن لم يَذكر ذلك صراحة ، كما أنك تجد تعريف التشبيه من خلال حديثه العام فهو يقول (إذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان ، أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه ، وتأكد الصدق فيه)([1]).

فهناك إذن مشبه وهناك مشبه به ، وهناك إلحاق أول بثان ، وهناك معنى مشترك، ثم هناك حديث عن الأدوات.

وهذا التفصيل وإن لم يكن مجموعًا تحت إطار واحد، وتعريفٍ واحد إلا أنه لا يخرج عن التعريف المستقر آخرا عند البلاغيين، كما أنك من خلال الشواهد التي أوردها تستطيع تقسيم التشبيه من حيث الطرفين، أو الأداة أو الوجه.

و من خلال مراجعاتك لكتاب عيار الشعر ، وبحثك عن التشبيه في فكر ابن طباطبا تستطيع آخراً **أن تضع يدك على نقاط مهمة منها:-**

---

١ - عيار الشعر / ٦٣.

أن هناك فجاءة في الانتقال من حديثه عن الشعر وأدواته وعلة حسنه إلى الحديث عن التشبيه وضروبه وصدقه.

❖ أن اهتمامه بالشعر القديم دفعه إلى اعتماده نموذجا حتى في الصورة،فعلى الشعراء أن يسيروا خلف القدماء في تشبيهاتهم فيشبهوا الماضي بالسيف ، والحليم الركين بالجبل ، وعالي الهمة بالنجم والرجل الحيي بالفتاة البكر.وهكذا.

ثم ينبههم إلى وجود أعلام فازوا بخلال ، وشهروا بها من الخير والشر كالسموأل في الوفاء ، وحاتم في السخاء ، والأحنف في الحلم ، لأن هؤلاء يجرون مجرى البحر والشمس والقمر.

والحسن أن يكون للشعراء المحدثين شواهد من شعر القدماء، وليس ذلك حجرا على الإبداع، ولكن لكل إبداع مرجع في الحسن، ومقياس يقاس به ، وهذا المقياس هو الشعر القديم.

ومنها:أن هناك أشياء ابتدعها في الفكر البلاغي، وهو استقلالية الحديث عن أدوات التشبيه، ووضع عنوان خاص بها ، ولعل هذا يمثل لبنة في علم البلاغة حين أراد الانفصال عن الأدب والنقد.

المجاز والمبالغة في عيار الشعر

كي تكون شاعرا ينبغي أن تكون فصيحا، ولكي تكون فصيحا ينبغي أن تعرف كل ما ينبغي معرفته في فن القول، ومن هذه الفنون المبالغة، ينبغي أن تعرف حدودها، ومتى تكون فيها ملاحة وقبول ؟ ومتى يكون فيها إسراف ؟ وهل المبالغة تقابل الصدق ؟

من خلال هذا الفكر نوقشت قضية الصدق في أحضان البلاغة ومن خلال كل ذلك نوقشت المبالغة والإغراق في الصفة ،وابن طباطبا يعلق على قول الفرزدق(١).

لقد خفت حتى لو رأى الموت مقبلا   ليأخذني والموت يكره زائره

لكن من الحجاج أهون روعة   إذا هو أغفى وهو سام نواظره

يقول: (**فانظر إلى لطفه في قوله**: إذا هو أغفى، ليكون أشد مبالغة في الوصف إذ وصفه عند إغفاله بالموت ، فما ظنك به ناظرا متأملا يقظا ؟

ثم نزهه عن الإغفال **فقال** : وهو سام نواظره ... ؟)(٢).

ثم بين أن هذا المنهج سلكه المحدثون، وأبدعوا فيه فقال :

١ - الفَرَزدَق - ١١٠ هـ / ٦٥٨ - ٧٢٨ م همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس.شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة.يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين.وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه. لقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة فهرس الموسوعة / ٧٦٢.

٢ - عيار الشعر / ٥٣.

(وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها ، **قال أبو نواس :**

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق)[1]

وبعد أن ذكر طائفة طويلة من أشعار القدماء والمحدثين علق قائلا :

(فهذه الأشعار وما شاكلها من أشعار القدماء والمحدثين أصحاب البدائع ، والمعاني اللطيفة تجب روايتها ، والتكثر لحفظها)[2]،مما يعني أنه جعل المبالغة، والإغراق في المعاني من البلاغة اللطيفة ، والحسن الذي يجب الإكثار منه .

وأتبع هذه الطائفة من الأشعار بطائفة أخرى، هي على العكس منها أي أنها تخلو من المبالغة والإغراق، **وقال :**

إنها أشعار غثة متكلفة النسج مضادة للأشعار التي قدمناها .

لكن الغريب أنه بعد هذا جعل من المجازات البديعية ، والاستعارات الجميلة أمورًا ينبغي اجتنابها ، بحجة أنها من الإشارات البعيدة ، أو الغلقة **يقول :**

---

١ - عيار الشعر / ٥٣.
٢ - عيار الشعر / ٥٩.

(وينبغي للشاعر أن يجتنب الإشارات البعيدة والحكايات الغلقة والإيماء المشكل ، ويتعمد ما خالف ذلك ، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ، ولا يبعد عنها ، ومن الاستعارات ما يليق بالمعاني التي تأتي بها فمن الحكايات الغلقة ، والإشارات البعيدة ، **قول المثقب العبدي في وصف ناقته :**

تقول وقد درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني ؟
أكل الدهر حل وارتحال ؟ أما يبقي علي ولا يقيني ؟)(١)

فهذه الحكاية كلها عن ناقته من المجاز المباعد للحقيقة، وإنما أراد الشاعر أن الناقة لو تكلمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول)(٢).

إذن المجاز هنا – عند ابن طباطبا – في جعله الناقة تقول **!!!**

والناقة لا تقول ، لأن القول صفة للإنسان ، وكان عليه أن يجعلها ترزم ويسلك في ذلك سبيل عنترة(٣)، **حيث قال :**

١ - يريد : لو قدرت ناقتي لقالت ذلك ، ودرأت : دفعت ، وأزالت الشيء عن موضعة ، والوضيني : حزام الرحل) انظر شرح أدب الكاتب للجواليقي / ١٢٦، وعيار الشعر / ١٢٥.
٢ - عيار الشعر / ١٢٥ .
٣ -عَنتَرَة بن شَدّاد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ٢٢ ق. هـ / ؟ - ٦٠١ م.أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة.. كان مغرماً بابنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي.

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

فهذا عنده هو الذي يقارب الحقيقة ، لأنه ذكر صوت الفرس وهو الحمحمة ، أو يشير في شعره إلى أنه لا يتكلم ، ولا يقول كما يقول الإنسان **مثل قول بشار :**

غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى إلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه(١)

أي أن العطش قد تبين في أحداقها فغارت ،(وهذه مبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة)(٢).

فابن طباطبا يرى أن التنصيص على أنها لا تخاطبه هو الذي أخذ الكلام من البعد والإغلاق إلى الحسن والقبول ، وهو الذي يفرق بين الغلو والمبالغة

وهذا يحتاج إلى نظر، لأن النطق والإخبار والتكلم إنما هو وصف لدلالة الحال، **كما تقول :**

(نطقت الحال بكذا ، وأخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره ، وكلمتني عيناه بما يحوي قلبه ، فتجد الحال وصفا هو شبيه بالنطق من الإنسان ، وذلك

١ - العانة : القطيع من الحمير ، والجأب : ذكرها انظر في ذلك الأغاني ١ / ٣٠٥ .
٢ - الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره للحاتمي ١ / ٢٨.

أن الحال تدل على الأمر ، ويكون فيها أمارات يعرف بها الشيء ، كما أن النطق كذلك ، وكذلك العين فيها وصف شبيه بالكلام ، وهو دلالتها بالعلامات التي تظهر فيها ، وخواص أوصاف يُحدسُ بها على ما في القلوب من الإنكار والقبول)([1]).

وأهل الحكمة من كل أمة يجعلون كل دليل قولا ، قال زهير([2]):

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... إلخ.

فكلامها أن يبين لها رسم ، ويظهر أثر، فلما عدم ذلك منها جعلها غير متكلمة، **وقال آخر :**

يا لاحد الميت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم)([3])

وهذا يضع سؤالا مهما وهو :

- **هل المجاز المقبول هو الذي يقارب الحقيقة ؟**
- **وهل إذا ابتعد المجاز عنها صار غلقا مفرطا لا يفهم ؟**
- **وهل هذا الفكر يعد من الشذوذ ؟([4])**

---

١ - أسرار البلاغة / ٢٧.

٢ - زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر.حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة.قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة.ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام.

٣ - سمط اللالي شرح أمالي أبي علي القالي ١ / ٥٧ ، وانظر الكامل للمبرد ١ / ١٣٢.

٤ - هذا ما ذهب إليه إحسان عباس في تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ١٤٥.

إنك لو وضعت قول الناقة (أهذا دينه أبدا وديني)والذي عده ابن طباطبا من المجاز المباعد للحقيقة ، **ومن الشعر الغلق الذي لا يفهم أمام قول الآخر :**

(وأخفت أهل الشرك) لتبين لك مدى المفارقة بينهما .

إن الذي لا شك فيه أن المجاز قرين المبالغة، وهي موطن الحسن والجمال فيه، وإن لم تكن مبالغة فما قيمة المجاز ؟

ولو عدت إلى بيت عنترة ، والذي استحسنه ابن طباطبا لوجدت :

أن الحسن ليس في جعله الفرس يُحمحم ، بدلا من أن يقول ويتكلم ولكن في أمور أخرى حيث جعله شجاعا يخوض غمار الحرب وأهوالها ويطعن كما يطعن الفارس ، ويكر كما يكر ، ويجهد كما يجهد ، ويحتاج على راحة كما يحتاج .، وهذا كله هو الذي جعله ينطق ، ويحاور ويعارض ويشكو ، وإن كان كل ذلك حمحمةً وليس كلامًا ، ذلك معدن الحسن .

ولقد ذهب الحاتمي مذهب ابن طباطبا،وجعل إخراج الأشياء عن حقيقتها من الغلو ، وهو معيب ، وفرّق بينه وبين المبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة ، وهذا هو الحسن الجيد ، يقول معترضا على المتنبي **حين سأل** : هل بين الغلو والمبالغة فرق ؟

فقال : (كل الفرق ، قال عنترة يصف فرسه :

فازور من وقع القنا بلبانه   وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

فجعل اشتكاء الفرس إليه ، إذ كان من الحيوان الذي ينطق بحمحمته وعبرته دون النطق والعبارة ، فلم يخرجه عما هو له ، فهذه مبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة ، ونحوه قول ابن هرمة واصفا كلبا(١):

يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا   يكلمه من حبه وهو أعجم

فقرن بهذه المبالغة (يكاد) فأخرجه عن الغلو،الذي يبتعد عن الحقيقة)(٢) والذي ينبغي أن نكون على ذكر منه أن عَالَمَ الشعر مخالف لعالم الناس وحقائقهم ، وأن الذي دفع ابن طباطبا إلى هذا المزلق ، هو أنه ناقش قضية المبالغة والمجاز في معرض حديثه عن الصدق ، فدفعه ذلك إلى البعد والإغراب ، حتى اتُهم في فكرته هذه بالشذوذ(٣)، لأن حقيقة المبالغة الادعاء(٤)،وقصر الادعاء على الصفة ، أو الوصف لم يقف معه الشعر قديما أو حديثا ، إنما الادعاء قد يكون في الوصف أو غيره ،فحين تجعل(الدمنة)

---

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن هرمة وهو من الخلج من قيس عيلان وابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم قال الأصمعي ساقة الشعراء ابن ميادة وابن هرمة ورؤبة وكان ابن هرمة من مخضرمي الدولتين انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ٧٣/٢.
٢ - سمط اللآلي شرح أمالي أبي على القالي ١ / ٥٧ .
٣ - تاريخ النقد العربي ١٤٥.
٤ - شروح التلخيص – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ٤ / ٣٦٨ .

تتكلم،فهذا ادعاء في الموصوف ، وليس في الصفة ، وحين تجعل الحال تنطق فهذا ادعاء في الموصوف، وكذلك الأمر حين تجعل الناقة تقول ، وتخاطب صاحبها ، فهذا ادعاء في جعلها ناطقة ، وليس في أنها تخرج أصواتا وحمحمات .

وهذا الادعاء هو الذي أدخل المبالغة في باب المجاز، وعندها فلا مجال لعيب، كما أنه لا مجال للصدق الأخلاقي، لأن المجاز كله قائم على جعل الأشياء في غير أماكنها.

حسن الابتداء والتخلص في عيار الشعر

حسن الابتداء (أن يتأنق الشاعر في أول الكلام،لأنه أول ما يقرع السمع)([1]).

أما حسن التخلص فهو:(أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل ، يختلسه اختلاسا ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني ، لشدة الالتئام بينهما)([2]).

ولقد ذكر ابن طباطبا في علة حسن الشعر حسن الابتداء ، وجعل ذكر الشيء الذي يعلمه السامع قبل ذكر المراد كالبشرى له ، **يقول:**

---

١ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٠٧ .
٢ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢ / ٣٩١.

(ومن أحسن المعاني والحكايات في الشعر، وأشدها استفزازا لمن يسمعها الابتداء بذكر ما يعلم السامع له، إلى أي معنى يساق القول فيه، قبل استتمامه، وقبل توسط العبارة عنه والتعريض الخفي الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه ، فموقع هذين عند الفهم كموقع البشرى عند صاحبها، لثقة الفهم بحلاوة ما يرد عليه من معناهما)[١].

والتعجيل بالشيء غرض من أغراض بناء الكلام ،لأن النفس تحب التعجيل بما تعرف ، ليكون ممهدا لها إلى مالا تعرف ، لذلك حرص أهل الإبداع ، وبخاصة الشعراء على تقديم ما يستبشر به السامع ، أو ما يعرفه فحسن الابتداء دليل البيان ، فلا يبدأ بما يتطير منه ، ولا بما لا يناسب المقام ومن هنا حرص ابن طاطبا على تنبيه الشعراء المحدثين إلى حسن الابتداء والتأنق في أول الكلام ليُقبل السامع على الشعر ، ثم تحصل الملاءمة بين أوله وآخره ، وهذا يعد عنده من عيار الشعر ، وسببا من أسباب حسنه .

ومن شواهده التي استشهد بها على ذلك قول الشاعر :

لعمرك ما الناس أثنوا عليك ولا مدحوك ولا عظموا

ولو أنهم وجدوا مسلكا إلى أن يعيبوك ما أحجموا

١ - عيار الشعر /٢٣.

فقدم معنى ما ساق إليه الابتداء ، فقال في تمامه :

ولكن صبرت لما ألزموك وجدت بما لم يكن يلزم

وأنت بفضلك ألجأتهم إلى أن يقولوا وأن يعظموا

فتراه هنا يشرح ، ويوضح كيف حسن الابتداء ، ووجه الحسن في تقديم ما يعلم السامع ، ثم المواءمة بين ذكر المعلوم أولا ، وما تم به المعنى آخرا ، وهو المسوق له الكلام .

ثم يُحذر ابن طباطبا من وضع الحشو بين ما ابتدئ به الكلام وما سيق من أجله الكلام ، لأن انتظام المعاني يتطلب عنده الانتقال من الابتداء إلى الغرض دون زيادة تُنسي السامع غاية القول ، **يقول:**

(وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها ، أو قبحه)[1].

فالتأليف، والتنسيق، والتجاور هي التي استدعت الابتداء بأمر والتخلص بآخر لذلك علي الشاعر أن :

(يلائم بينها ، لتنتظم له معانيه ، ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه ، وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه)[2].

---

١ - عيار الشعر / ٧٤.
٢ - عيار الشعر / ١٢٩.

لاحظ هذا ، فالحشو هنا كما يفهم من كلام ابن طباطبا هو وضع الفضل ، وما ليس من جنس الكلام ، مما يشتت الذهن ، فينسى السامع المعنى الذي يساق القول إليه .

فامتلاك عقل السامع ، وغرس المعاني بداخله غرض من أغراض الشاعر ،وعليه ان يحترز من كل ما يُفلت هذا العقل من يده ، بل إن ابن **طباطبا يقول** :

(يحترز من ذلك في كل بيت ، فلا يباعد كلمة من أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها)(١).

أما حسن التخلص فقد جعله ابن طباطبا فضيلة للمحدثين ، دون من تقدمهم ، لأن مذهب الأوائل لم يكن معنيا بالتناسب بين الأغراض داخل القصيدة ، حيث يراها جوهر المشاكلة والالتئام بين الأجزاء ، وحسن الخروج من باب إلى غيره ، واستئناف بعد انقضاء ، فإن وجدت نفسك وقعت في الثاني دون أن تشعر ، وإن وجدت نفسك أُخذت برفق دون أن تنتبه كان الحسن والإبداع .

---

١ - عيار الشعر ١٣٠.

أما إن فاجأك الشاعر وصدمك ونزعك ، فلا حسن ولا إبداع ، ولما كان هذا من الصعوبة بمكان اهتم بحسن التخلص أكثر من حسن الابتداء وأفرد له بابا وعنوانا ، نبه على أن المحدثين أعلى قدما فيه ، وألطف وأرفق من القدماء ، كما أنه أكثر فيه من الشواهد ، وعلق على بعضها لأنه من مهمات البلاغة ، حيث يبدأ الشاعر (في معنى من المعاني ، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا)([1]).

والعرب الأوائل لم يفعلوا ذلك في شعرهم – كما يرى – بل كان لهم مذهب واحد (وهو قولهم عند وصف الفيافي ، وقطعها بسير النوق وحكاية ما عنوا في أسفارهم : إنا تجشمنا ذلك إلى فلان ، يعنون الممدوح أو يقطعون الكلام عما قبله ، ثم يبدؤون بالمدح ، أو يتوصل إلى المدح بعد شكوى الزمان ، ووصف محنه وخطوبه ، فيستجار منه بالممدوح : أو يذكر السحابة والبحر والأسد والشمس ... إلخ.

١ - المثل السائر لابن الأثير ١ / ٢٤٥.

ثم يقول : كل ذلك ليس بأجود ولا أشجع ، ولا أحسم من فلان)([1])

هذا صنيع الأوائل في انتقالهم، وتخلصهم من غرض ما إلى المدح، لكن المحدثين سلكوا طريقا آخر وتلطفوا فيه.

ثم ذكر نماذج كثيرة دون تعليق، مما يفهم منه أن وضوح الانتقال فيها ظاهر لكل ذي عينين مما جعل ابن سنان يوضح الأمر بعض الشيء، **ويقول**:

(ومن الصحة: صحة النسق والنظم، وهو أن يستمر في المعنى الواحد وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه، حتى يكون متعلقا بالأول، وغير منقطع عنه، **ومن هذا الباب** :

خروج الشعراء من النسيب إلى المدح ، فإن المحدثين أجادوا التخلص حتى صار كلامهم في النسيب متعلقا بكلامهم في المدح ، لا ينقطع عنه فأما العرب المتقدمون فلم يكونوا يسلكون هذه الطريقة ، وإنما كان أكثر خروجهم من النسيب إما منقطعا ، وإما مبنيا على وصف الإبل التي صاروا إلى الممدوح عليها ، **كقول محمد بن وهيب**([2]):

---

١ - عيار الشعر / ١١٦ بتصرف .

٢ - محمد بن وهيب الحميري٢٢٥ هـ / ؟ - ٨٤٠ مشاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيع، وله مراث في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، واختص بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، وكن تياهاً شديد الزهاء بنفسه، عاصر دعبلا الخزاعي وأبا تمام.

مازال يلثمني مراشفه ويعلني الإبريق والقدح

حتى استرد الليل خلعته وبدا خلال سواده وضح

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح[1]

وبعد أن انتهى من شواهده ذكر شواهد أخرى تحت عنوان (الشعر البعيد الغلق) ولعله أراد أنها مغلقة ، لا يمكن التخلص منها ، والانتقال إلى غرض آخر ، فقبحت ، وساءت ، وبعدت ، وكأن الجميل في فكره هوما حسن وصله بما بعده ، والخروج منه إلى غيره دون مفاجأة ، أما ما أغلق الباب عليه ، أو استشعر السامع صدمة النقلة منه إلى غيره ، حتى وإن كان حسنا في نفسه ، فإنه يقبح .

إشارات بلاغية في عيار الشعر

إذا كان النظم ، والنسج ، والتشبيه ، والمبالغة ، وحسن الابتداء والتخلص أمورا قد أخذت شوطا من ابن طباطبا ، فأفرد لبعضها عنوانا وأكثر من ذكر الأخرى ، فإن هناك مسائل من البلاغة أشار إليها سريعا ولم يقف عندها طويلا ، ومن هذه الأبواب التي عرج عليها سريعا : **الاستعارة** .

---

١ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي / ٢٩ .

والاستعارة التي ذكرها ليست (نقل كلمة ، أو عبارة من شيء قد جعلت له ، إلى شيء لم تجعل له)[1]، وإنما هي تناول الشاعر للمعاني التي قد سبق إليها ، وإبرازها في كسوة أخرى ، **لذلك كان موضعها في كتابه** : باب السرقات ، وليس باب المجاز ، كما أنه جعل الحديث عن تلك الاستعارة مدخلا للحديث عن نقل المعاني من جنس إلى جنس ، ومن عالم إلى عالم ، يقول : إن الشاعر (إذا وجد معنى لطيفا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح ، وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء ، وإن وجده في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف إنسان ، وإن وجده في وصف إنسان استعمله في وصف بهيمة)[2].

كل ذلك وهو ينظر إلى الشاعر على أنه صائغ، يقوم على المعاني فيشكلها تشكيلا جديدا، أفضل مما كانت عليه، حتى تختفي معالمها القديمة ولا يفهم منها إلا المعنى الجديد، **يقول**:

(ذلك كالصائغ الذي يذيب الذهب ، والفضة المصوغين فيعيد صياغتهما بأحسن مما كانا عليه ، وكالصباغ الذي يصبغ الثوب على ما رأى من الأصباغ الحسنة ، فإذا أبرز الصائغ ما صاغه في غير الهيئة التي عهد عليها

---

١ - الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره / ٦٩.
٢ - عيار الشعر / ٨٠.

وأظهر الصباغ ما صبغه على غير اللون الذي عهد قبل التبس الأمر في المصوغ وفي المصبوغ على رائيهما ، فكذلك المعاني وأخذها ، واستعمالها في الأشعار على اختلاف فنون القول فيها)(١).

ولقد أحسن ابن الأثير حين ألمح إلى وجود فائدة جليلة من وراء معرفة هذا الأخذ ، أو هذا النقل فقال :

(واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول ، لكن لا ينبغي لك أن تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق ، فتنادي على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من عجل في ذلك فعثر ، وتعاطى فيه البديهة فعقر ،والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء ، بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب)(٢).

والذي يعنيني هنا أن أوضح الرحم المشتركة بين فكرة الاستعارة وفكرة السرقة للمعاني ، حيث يعتمد كل منهما على نقل الأشياء ، وعلى الادعاء ، وعلى الخفاء ، أو التخفي ، وكل هذا في اللغة من المثيرات والبدائع ، إذا أحسن المستعير أو الناقل الصوغ والصبغ والحبك ، هذا ما يرمي إليه

١- عيار الشعر / ٨١ .
٢- المثل السائر ٢ / ٣٤٢.

ابن طباطبا ، أو هكذا افهمه ، وفكرة النقل بين الأشياء لو وسّعت لكان من ورائها علم غزير .

ومن الإشارات البلاغية التي ذكرها (التعريض)

وهو في عقل ابن طباطبا ما ينوب عن التصريح والإطالة ، وهذا المعنى قريب من الكناية ، لكن الفرق بينهما أن (الكناية : ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض : أن تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره ،أو هو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره)، **نحو قوله تعالى:**

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ....﴾ [سورة الأنبياء:٦٣] (١)

والتعريض، والكناية، والرمز ، والإشارة ، والإيماء ،والتلويح كل ذلك من باب واحد ،لأن المقصود ترك التصريح عن المراد،وسلوك سبيل آخر إلى المراد .

والعجيب أن ابن طباطبا أورد التعريض في حديثه عن التشبيه وأدواته ودروبه ، وبعد أن ذكر شواهد كلٍّ علق في ختام الباب بأن هذه (أمثلة لأنواع التشبيهات التي وعدنا شرحها ، وفي كتاب " **تهذيب الطبع** " ما يسد الخلل الذي فيها ، ويأتي على ما أغفلنا وصفه ، والاستشهاد به من هذا الفن)(٢) .

---

١ - الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٨٣ .
٢ - عيار الشعر /٣٦.

وحين تراجع تلك الشواهد تجد فيها صورا كثيرة كالاستعارة والكناية والتشبيه مما يعني أن مفهوم الصورة البلاغية الأخيرة، والتي يدرسها علم البيان لم يكن قد اكتمل، بل كانت الصور كلها قائمة على التشبيه.

كما أنه عرّج على الإيماء والإشارة، ولم يكن يقصد بهما الكناية المعروفة إنما ذكرهما في باب الشعر البعيد الغلق، **وذكر فيه قول الشاعر** :

أومت بكفيها من الهودج　لولاك هذا العام لم أحجج

أنت إلى مكة أخرجتني　خُبيا ولولا أنت لم أخرج

ثم قال:(فهذا الكلام كله ليس مما يدل عليه إيماء، ولا تعبر عنه إشارة)([1]).

وتلك حقيقة ، لكن هل يريد ابن طباطبا من حركات اليد أن تعبر عن الاتجاهات فقط ، أو يريد منها أن تعبر عن أمور إذا قيل إنها إشارات اليد وحركات الأصابع يقبلها العقل ، وإذا قيل إنها معان مفهومة من حالها مع إشارات يدها يكون الشاعر قد بعد ؟!!!!.

لا شك أن هذا بعيد، فالصدق الذي ألزم نفسه به خيم عليه حتى رأى ما لا يراه الشعراء.

---

١ - عيار الشعر / ٨١ .

الفصل الثالث
المسائل النقدية في كتاب "عيار الشعر"

ماهية الشعر عند ابن طباطبا

تختلط مسائل البلاغة بمسائل النقد في كتاب عيار الشعر ، كما هو الحال في كتب التراث القديم ، حيث ترى علوم اللغة كلها جنبا إلى جنب وما تمايزت هذه العلوم إلا في مراحل متأخرة ، ولعل كتاب " **البديع لابن المعتز** " كان من بواكير هذا التمايز ، ويعتبر كتاب عيار الشعر من أهم الكتب النقدية التي كتبت في ذلك العصر ، فقد تميز بثراء العطاء النقدي الصادر عن رجل متخصص ، تحدث عن الشعر على ضوء تجربته الشعرية ومعاناته في الإبداع الشعري ، ويعتبر من أهم النقاد الذين بحثوا في الشعر ، وماهيته ووظيفته ... إلخ .

كما أنه يختلف في نهجه ، وفي تناوله لموضوعاته عمن سبقه من النقاد .

فهو في حديثه يعكس شخصية الناقد المتذوق البصير بالشعر ودروبه الذي يعرف علة الحسن، وموطن القبح ، بل هو الذي يضع المقياس والمعيار الذي يقاس عليه ، ويستهدى به.(١)

---

١ - انظر : في الشعرية العربية - قراءة جديدة لعيار الشعر للدكتور طراد الكبيسي بتصرف - موقع اتحاد الكتاب العرب على النت .

وحقيقة الشعر هي المدخل الذي ولج منه ابن طباطبا إلى كتابه عيار الشعر، حيث بدأ بعد الدعاء في تعريف الشعر فقال :

(الشعر – أسعدك الله – كلام منظوم بائن عن المنثور ، الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم ، بما خص به من النظم)(١).

والكشف عن حقيقة الشعر شغل الكثير من الأدباء والنقاد من قبل ابن طباطبا، و من بعده ، **فالجاحظ يراه:**

(الألفاظ المتخيرة، والمعاني المنتخبة، والمخارج السهلة، والديباجة الكريمة، والطبع المتمكن، والسبك الجيد، وكل كلام له ماء ورونق)(٢).

وهذا تعريف يشير إلى طبيعة الشعر، وما يعتمد عليه من ألفاظ ومعان وتصوير، **ويراه في موقع آخر**:(ضربا من النسج، وجنسا من التصوير)(٣).

ويضع قدامة بن جعفر عنوانا في كتاب نقد الشعر ، فيقول :

(إن أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر ، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ، ولا أوجز مع تمام الدلالة – **من أن يقال فيه :**

---

١ - عيار الشعر / ٩ .
٢ - البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٥٧ .
٣ - الحيوان ١ / ٢١٩ .

إنه قول موزون مقفى ، يدل على معنى)(١).

وشاع هذا التعريف فتناقله النقاد، والعلماء ليحددوا به ماهية الشعر وحده الذي يفصله عن غيره .

ولا بد هنا من أن يطرح سؤال: هل كان هناك غبار حول مفهوم الشعر حتى يعرف ؟

وهل حقيقة الشعر الذي يتداولونه صباح مساء تخفى على أهله أو حتى على العامة ؟

الذي يبدو أن هناك غيم وضباب حول ماهية الشعر وحقيقته ، هذا الغيم جعل الجاحظ ينكر على أبي عمر الشيباني(٢)، استجادته لأبيات قيلت في المسجد يوم الجمعة ، **وفيه يقول القائل**:

لا تحسبن الموت موت البلى إنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ، ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

أنكر الجاحظ أن يكون ذلك من الشعر ، وأن يكون قائلهما شاعرا،ويقول:(رأيت أبا عمرو الشيباني ، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلا حتى أحضر له دواة

١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر / ١.

٢ -أبو عمرو الشيباني الكوفي قال الأزهري: كان يعرف بأبي عمرو الأحوص، ومرار بكسر الميم ورائين مهملتين مخففتين، وهو مولى وليس من بني شيبان، وإنما كان مؤدبا لأولاد ناس من بني شيبان، فنسب إليهم معجم الأدباء ٢ / ٢٤٠.

وقرطاسا ، حتى كتبها له ، وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لايقول شعرا أبدا ، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا)([1]).

وهذا الغيم جعل كتب النقاد قديما وحديثا تذكر تعريف الشعر وماهيته ، وحقيقته حتى يفرقوا بين الشعر الذي تتطاول إليه الأعناق ويحتفل به في كل واد ،وبين ما يشبهه ، أو يقترب منه ، أو يدعي أنه من نسله مع أنه دعي لصيق لا صلة له بالشعر ، و لا عالمه ، فلا يمكن – مثلا – أن تدخل المنظومات العلمية في حقيقة الشعر ، وهي كلام منظوم مقفى يدل على معنى ، مثل منظومة ابن الجزري([2])، في التجويد والقراءات ، **والتي فيها** :

مخارج الحروف سبعة عشـر على الذي يختاره من اختبر

أو ألفية ابن مالك في النحو ، وهي كلام منظوم مقفى يدل على معنى أو غير ذلك في كثير من العلوم ، والتي وضعت فيها متون جامعة لأطراف العلم وحدوده ، لذلك كان تعريف ابن طباطبا للشعر من الأهمية بمكان لأن فيه زيادات تميز بها الشعر عن غيره ، وتصب في حقيقة الشعر وماهيته ولكي تدرك قيمة هذه الزيادات التي اختص بها ابن طباطبا انظر إلى

---

١ - الحيوان ١ / ٢١٩.
٢ - هو محمد بن محمد بن الجزري صاحب النشر في القراءات العشر ت ٨٣٣هـ.

الإضافات التي أضافها غيره ، فلقد زيد على الكلام الموزون المقفى (أن يتغنى به) بحجة أن الشعر القديم كله شعر غنائي ، فما كان صالحا للغناء فهو الشعر ،وما لم يكن كذلك فلا يعد من الشعر ، يقول سيدنا حسان بن ثابت – رضي الله عنه .

تغن بالشعر إما كنت قائله ، إن الغناء لهذا الشعر مضمار)[١]

وزاد آخرون : (الخيال والعاطفة والشعور) ، وعلى هذا سُمّي الشاعر شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره)[٢].

ولقد علق عبد الملك بن مروان على قول الراعي النميري[٣] :

أخليفة الله إنا معشـر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا

فقال : ليس هذا شعرا ، هذا شرح إسلام وقراءة آية [٤].

ولكن، هل إذا كان الكلام موزونا مقفى، مليئا بالمشاعر والأحاسيس وله معنى حسن، لكن لفظه فاتر بارد، أيعد من الشعر ؟

---

١ - راجع العمدة لابن رشيق ٢/ ٢٤١ ، والفن ومذاهبه لشوقي ضيف / ٤١ .
٢ - العمدة ١/ ٩٦ .
٣ - الراعي النُمَيري٩٠ هـ / ؟ - ٧٠٨ م عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النميري، أبو جندل.من فحول الشعراء المحدثين، كان من جلّة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد.وقيل: كان راعَي إبلٍ من أهل بادية البصرة.
عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءاً مُرّاً
٤ - الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ٢٠ / ٢٧٢.

وهل قول أبي العتاهية[١] ، مثلا :-

مات والله سعيد ابن وهب   رحم الله سعيد ابن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني   يا أبا عثمان أوجعت قلبي[٢]

من الشعر ؟

وإن كان ، فلماذا غضب الجاحظ من صنيع أبي عمرو الشيباني ؟

إذن هناك أمور أخرى غير: (الكلام / الموزون / المقفى / الدال على معنى / المليء بالمشاعر) فما هي ؟

أهو الصدق ؟ بحيث لا يخرج الكلام عن حد المقبول مما يجعل المبالغة الشديدة والغلو يخرج الكلام من دائرة الشعر ؟ **كما في قول أبي نواس في مدح الرشيد :**

وأخفت أهل الشرك حتى إنه   لتخافك النطف التي لم تخلق)[٣]

فهذا الكلام لا يرتاح إليه أحد ، بل يشعرك بصدمة ، وغصة ، حتى **قال له العتابي** : (أما استحييت من الله لقولك : وأخفت ... إلخ)[٤].

---

١ - أبو العَتاهِيَة١٣٠ - ٢١١ هـ / ٧٤٧ - ٨٢٦ م إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي، أبو إسحاق.شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد.كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد.

٢ - الأغاني ٢٠ / ٢٧٣ .

٣ - ديوان أبي نواس / ٢٨٥ ط دار صادر بيروت ٢٠٠١ م .

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة / ١١٦.

ولم أستسغ تخريج ابن عبد ربه حين حاول أن يجد له مخرجا **فقال**: (مجاز هذا قريب إذا لُحظ أن كل من خاف شيئا خافه بجوارحه ، وسمعه وبصره ، ولحمه ودمه ، والنطف داخلة في هذه الجملة ، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف النطف التي في أصلابها)(١).

فهذا -كما ترى – تورك ، وحمل للكلام على غير وجه الشعر ، والشعر أصفى وأعلى من هذا ، فهو الذي يهز الشعور ، ويحرك النفوس ، حتى يقع منها أجمل موقع ، وعلى هذا بات صدق الشعور ضرورة في تعريف الشعر .

ولكن يظل السؤال قائما : أهذا هو الشعر ؟

وحين ترجع إلى محل البحث، وهو عيار الشعر، تجده يضع للشعر سمات تحدد ملامحه، وتوضح حقيقته، وترسم حدوده، **ومن أهم هذه** :

(أنه بائن عن المنثور) **أي** : أن له طريقة خاصة في التكوين ، والتأليف تغاير طريقة النثر ، وله نسج بائن عن نسج النثر ، وله نظم خاص ، وتلك خصائص تبعد عن مجرد الوزن والقافية ، ولذلك وضعها في تعريفه للشعر .

كما أن في قوله :

(النثر الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم) لفتة أخرى ، توضح أن للشعر حالات خاصة ، ومواقف خاصة ، فليس هو مما درج بين الناس

١ - العقد الفريد ٢ / ٣٣٠ .

وليس هو مما يقوله كل أحد ، إنما هو عملية إبداعية ، تحتاج إلى طبع وموهبة ذلك هو مفهوم الشعر في فكر ابن طباطبا ، ولا تظن أنني حين أفرد هذه الأوراق لتحديد مفهوم الشعر في فكر الرجل أنني أحرث في محروث فمازال جيلنا يعاني من أقوام أدخلوا على الشعر ما ليس منه ، وقذفوا به في وجوهنا ، وصرخوا به في كل واد ، حتى بات الناس يرون ما يرونه ويصدقون أن ما جاؤوا به شعر ، ولا أظن أن هذا وليد زماننا ، بل هو موجود منذ عرف الناس الحق والباطل من القول ، بدليل أنك كلما تصفحت كتابا لعلمائنا القدامى وجدتهم يعرّفون الشعر ، ويتحدثون عن ماهيته، وطبيعته ، وحدوده ، وكأنهم يردون على هذا الفكر الذي يرى غير الشعر شعرا ، ويجادلون فيما لا ينبغي الجدال فيه ، ورحم الله أبا الطيب **حيث قال** :

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل(١)

ولقد ظل الأمر حتى وصل إلى فارس العربية في هذا العصر، وشيخ شيوخها ، أبي فهر محمود محمد شاكر – رحمه الله – **حيث وقف يعرّف الشعر فقال :**

١ - شرح ديوان المتنبي للواحدي ١ / ٢٤٩.

(**ولفظ الشعر في لسان العرب موضوع للدلالة على كلام** : شريف المعنى ، نبيل المبنى ، محكم اللفظ ، يضبطه إيقاع متناسب الأجزاء ، وينظمه نغم ظاهر للسمع ، مفرط الإحكام والدقة في تنزيل الألفاظ ، وجرس حروفها ، فهو في مواضعها منه لينبعث من جميعها لحن ، تتجاوب أصداؤه في ظاهر لفظه ، ومن باطن معانيه ، وهذا اللحن المتكامل هو الذي نسميه القصيدة ، وهذا اللحن المتكامل مقسم أيضا تقسيما متعانق الأطراف متناظر الأوصال ، تحدده قواف متشابهة البناء والألوان ، متناسبة المواقع ، متساوية الأزمان ، هذا هو الشعر)[1].

ويوضح أستاذي مكونات هذا التعريف ، وأنه يتضمن خمسة أشياء (المعنى / المبنى / اللفظ / الإيقاع / ثم النغم)[2]، وأن بيان أبي فهر عن جوهر الشعر الذي عاش به وله هو بيان جامع دقائق الحقائق ، التي لا يجد طالب علم ناصح لنفسه ولأمته مندوحة في أن يتشاغل عنها بما هو من دونها)[3].

١ - قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام / ٣٧ ط المدني .
٢ - قطرات الندى للدكتور محمود توفيق ص ٨.
٣ -قطرات الندى / ٩.

ومع يقيني بأن ما قاله الشيخ الجليل قد جمع فيه دقائق و حقائق الشعر إلا أنه لا ينبغي أن ننسى أن هذا التعريف يرسم مشهد الغيوم التي سيطرت على العقول ، مما اضطره إلى هذا الإطناب ، ليزيل الإبهام ، ويضع النقاط على الحروف ، بعد أن ضاعت معالم الشعر في عقول كثير من الناس .

اللفظ والمعنى في عيار الشعر

لابد أن يكون واضحا أن الحديث عن اللفظ والمعنى يقصد به هنا:علاقة الصياغة الشعرية بالمعنى الشعري ، ولا يقصد به الألفاظ المعجمية ولا المعاني العامة .

وقضية اللفظ والمعنى هي الأشهر في النقد قديما وحديثا ، وهذا البحث معني برؤية ابن طباطبا لها ، وما أثير حولها ، والذي ينبغي البداية به هو : أن اللفظ والمعنى عنصران لا يمكن الفصل بينهما عنده ، فهما (جسد وروح ، فجسده النطق ، وروحه معناه،والكلام الذي لا معنى له ، كالجسد الذي لا روح فيه)[1].

والحديث عن اللفظ والمعنى في عيار الشعر يقوم على ركائز منها :

- ❖ **من يسبق منهما أولا إلى الذهن ؟**

---

1 - عيار الشعر / 17 .

❖ **علاقة اللفظ بالمعنى**

❖ **موطن عمل الأديب ، ومحل اجتهاده أهو اللفظ أم المعنى ؟**

❖ **لمن تجب الفضيلة ؟**

ولقد بدأ ابن طباطبا حديثه عن المعاني والألفاظ بإثبات المشاكلة بينهما(فللمعاني ألفاظ تشاكلها ، فتحسن فيها ، وتقبح في غيرها ، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسنا في بعض المعارض ، دون بعض)[1].

وحين تقف أمام الجملة الأولى ، وهي (وللمعاني ألفاظ تشاكلها) يثور في ذهنك سؤال ،وهو:هل للشعر لغة خاصة ، بحيث إذا أراد الشاعر قول الشعر استدعاها فحسنت ، ولو طلبها في معرض آخر قبحت أو تعصّت عليه ؟

إن ابن رشيق يقول: (للشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ، ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكُتّاب اصطلحوا على ألفاظ بعينها يسمونها : الكتابية ، لا يتجاوزونها على سواها)[2].

١ - عيار الشعر / ١٤ .
٢ - العمدة ١/ ٤٠ .

وقضية اللفظ والمعنى بالنسبة للمبدع تختلف عنها بالنسبة للمتلقي من حيث السبق، فالسابق إلى النفس بالنسبة للمبدع هو المعنى، والسابق إلى النفس بالنسبة للمتلقي هو اللفظ .

وابن طباطبا يوضح هذا فيقول:(إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه ، والقوافي التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه)[1].

فالفكرة هنا هي السابقة إلى الشاعر، ثم تأتي الألفاظ، والأوزان والقوافي، وعليه أن يختار ويوازن، ويصحح ويبدل.. إلخ .

لكن الأمر بالنسبة للقارئ أو للسامع ، أو للمتلقي عامة يختلف حيث يسبق إليه اللفظ ، في صورة خاصة ، وهيئة خاصة ، ثم عليه محاولة الوصول إلى مراد الشاعر الذي أسكنه هذه الألفاظ ، أو أقرب شيء إلى مراده .

وكلما فطن على نظم الكلام ونسجه، وتأليفه وترتيبه، واستحضر السياق والمقام الذي قيل فيه، وانتبه إلى المعاني التي بدأ بها ، والتي ثنّى بها والتي ختم بها ، وعرف طرائق الشاعر في التعبير إلى آخر هذه الخصائص التي تكثر.

---

١ - عيار الشعر / ١١.

أقول : كلما فطن المتلقي إلى كل ذلك استطاع أن يصل إلى مراد الشاعر (و إذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا ، أو يستجيد نثرا ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن أنيق وعذب سائغ فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، وإلى ظاهر اللفظ اللغوي ، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده وفضل يقتدحه العقل من زناده)([1]).

من كل ذلك تعرف أن السابق إلى النفس بالنسبة للمبدع هو المعنى وأن السابق إلى النفس بالنسبة للمتلقي هو اللفظ .

وهذا يوصلنا إلى نقطة أخرى ، أنارها ابن طباطبا في عيار الشعر **وهي** : موطن عمل الأديب ، **أي** : ما الذي يشغل بال المبدع إذا أراد إنشاء شعر ، أهو اللفظ أم المعنى ؟

وهذه القضية ظاهرها نقد، وباطنها بلاغة، لأن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، إذن هناك حال يستوجب مجيء الكلام موافقا له ، فالحال أولا ومن الحال المعنى والغرض .... إلخ .

وابن طباطبا في كلامه يشير إلى هذا فيقول:(إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا)([2]).

---

١ - أسرار البلاغة / ٣ .
٢ - عيار الشعر / ١١.

وتمخيض المعنى وتصفيته ، وتحريره في عقل المبدع دليل على أنه وُجد أولا ، واستقر في القلب ، وشغل الفكر ، ثم تأتي الموهبة لتخرج هذا المعنى في صورة شعرية مكتملة ، من ألفاظ وأوزان وقواف .

بل إن ابن طباطبا يستحسن وجود المعنى في قالب نثري ، قبل أن يلبس الشكل الشعري ، **لذلك قال** :

(في فكره نثرًا)، بحيث يظل هذا المعنى في صورته إذا نقضت القصيدة وجعلت نثرًا ، بل **ويقول** :

(وإذا مرّ للشاعر معنى يستبشع اللفظ به لطف في الكناية عنه)(١).

فالذي يمر أولا هو المعنى ، والذي يستدعى ويستجلب هو اللفظ ، كما أنك تلحظ ثباتا للمعنى وتحولا ، وتغيرا للفظ حتى يوافق المعنى .

وهذا يجعلك لا تثبت للمعنى الأسبقية فقط ، بل تثبت له أسبقية العمل ، والتجويد ، والإحكام ، فالمعنى – كما أفهم – كاللفظ يحتاج إلى أن ترسم ملامحه ، وتحد حدوده ، ويُعقل مجردا من الألفاظ ، فإذا استطاع الشاعر أن يصيده ويحوزه ، ويقيده بدأت عملية الكشف عنه ، وخروجه إلى عالم الناس في ألفاظ وصور ، وهو ما يعبر عنه بإلباسه الثوب اللائق به ،وهذا

---

١ - عيار الشعر ١٢٨ .

عمل شاق جدا ، حيث يظل الشاعر يفتل للمعنى في الذروة والغارب حتي يظهر ، وكأنه روح سكنت بداخله تتأبى على الظهور ، إلا إذا وجدت من اللباس ما يلائمها ، وهذا مفهوم من كلام بشر بن المعتمر (من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما) ([1]).

أي : حتى يظهر ، وإلا فما معنى : فليلتمس ؟

وهذا الفهم الذي يدور في عقل ابن طباطبا ، ويفهم من كلام بشر أيضا ينقضه عبد القاهر – رحمه الله – **ويقول** :

(كيف يتصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال وإنما تطلب المعنى ، وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك ، وإزاء ناظرك)([2]).

فالإمام هنا يضاد فكرة التفكير في اللفظ ، وينكر أن يكون هناك استدعاء له أثناء عملية الإبداع ، بل إنه يعتبر استدعاء اللفظ ضربا من المحال **فيقول:**

(وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى، أن لو كنت إذا طلبت المعنى فحصلته احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حده، وهذا محال)([3]).

---

١ - البيان والتبيين ١/ ٤٣ .
٢ - دلائل الإعجاز / ٤٢ .
٣ - نفسه.

والذي يُطلب فقط في فكر عبد القاهر هو الترتيب ، ترتيب الألفاظ في النطق ، ولا أرى هنا إلا أن أقف مع ابن طباطبا ، لا لشيء إلا لأنه شاعر عالج الأمر وعاناه ، وأدرك ماذا يحصل للشعراء ، حين يريدون التعبير عن المعاني المعتلجة في صدورهم ، فلا يستطيعون ، ويصور الفرزدق هذا الأمر **فيقول**:(أنا عند الناس أشعر العرب ، ولربما كان نزع ضرس أيسر علي من أن أقول بيت شعر)(١).

إذن تستطيع بعد هذا أن ترى فكر ابن طباطبا من خلال ما سبق **والذي ألخصه لك في ثلاث جمل :**

- **علاقة اللفظ بالمعنى علاقة روح بجسد .**
- **السابق إلى الفكر أولا هو المعنى .**
- **والذي يجهد فيه الأديب هو اللفظ بعد أن يكون قد حصل المعنى .**

والأمور الثلاثة مندرجة تحت علاقة اللفظ بالمعنى .

ثم تبقى الركيزة الثانية في هذه القضية،وهي مرجع المزية كما يراها ابن طباطبا.

وحين أتحدث عن مرجع المزية إنما أتحدث عن مرجع البلاغة، لأن المقصود هو بلاغة الكلام، وحسنه ، وفضله الذي بزّ غيره .

---

١ - البيان والتبيين ١/ ٤١ .

والذي جعل هذه القضية تظهر على سطح الدراسات النقدية مقولة الجاحظ : (والمعاني مطروحة في الطريق) وتزداد هذه الجملة قوة بجملة أخرى **وهي** :

(وإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير)[1].

وظاهر هذا أن الجاحظ يرجع بالمزية إلى الصياغة والتصوير وأن المعاني العامة التي يعرفها العجمي كما يعرفها العربي ، ويعرفها البدوي كما يعرفها الحضري ، لا توصف بفضل ، ولا يقع فيها تمايز ، وعليه (فإنه لم يقدم شيئا على شيء ، أي أنه لم يقدم اللفظ على المعنى ، ولا المعنى على اللفظ ، إنما قدم الصياغة الشعرية ، وما تولد منها من معان شعرية في باب نقد الشعر على المعاني العقلية غير الشعرية ، أي : التي لم تتولد من الصياغة فهو إذا لم يقدم شيئا من مكونات الشعر على شيء من مكونات الشعر .

هو يقدم مكونات الشعر صياغة فنية ،ومعنى شعريا متولدا منها على شيء ليس من مكونات الشعر،وليس من رحمه ولا جنسه،بل هو من رحم العقل وجنسه)[2]، ولم يبعد ابن طباطبا عن هذا إذ إن المزية ترجع إلى كل من اللفظ والمعنى ، دون علو لأحدهما على الآخر ، وإذا كانت الأفهام تلتذ بحسن المعاني ، فإن السمع يلتذ بمونق الألفاظ ، والفضيلة ترجع إليهما جميعا

---

١ - الحيوان ١/ ٢١٩ .
٢ - النظم عند عبد القاهر / ٢٨ .

(فمن الأشعار أشعار محكمة،متقنة أنيقة الألفاظ ، حكيمة المعاني ، عجيبة التأليف ، إذا نقضت وجعلت نثرا لم تبطل جودة معانيها ، ولم تفقد جزالة ألفاظها)[١].

وهذا الكلام يجعل من ابن طباطبا ناقدا منصفا للمعنى واللفظ معا وإن كان ارتكانه إلى المعنى يعلو قليلا – كما أرى – لحرصه على الصدق الذي يجعل من الشعر شيئا (أنفذ من نفث السحر ، وأخفى دبيبا من الرُّقى ، وأشد إطرابا من الغناء ، فسل السخائم ، وحلل العقد ، وسخّى الشحيح ، وشجع الجبان) [٢].

بسبب التوافق بين الشعر والفهم حتى صار الشعر عنده هو (الكلام العدل الصواب، الحق الجائز ، المعروف المألوف)[٣].

المهم أنه أنصف اللفظ والمعنى جميعا ، ووصف كلا بما يليق به فتحدث عن الأشعار المحكمة الرصف ، المستوفاة المعاني ، السلسة الألفاظ الحسنة الديباجة ، والشعر الحسن اللفظ الواهي المعنى ، والشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة ، والشعر الردئ النسج والمحكم النسج ، كما تحدث عن ملاءمة معاني الشعر لمبانيه .إلى آخر هذه العناوين التي تعود بالمزية إلى هذه تارة ، وإلى تلك أخرى .

---

١ - عيار الشعر / ١٣ .
٢ -عيار الشعر / ٢٢.
٣ - عيار الشعر / ٢٠.

لكن حين يوضع كل منهما في الميزان يرجح المعنى ،فالشعر الذي تجب روايته هو الذي يحوي البدائع ، والمعاني اللطيفة الدقيقة ، هذا الذي إن لم تقيده لم تجده في غيره ، وهذا الذي (يقع من المرء في فؤاده ، ويقتدحه العقل من زناده)(١).

وحدة القصيدة في عيار الشعر

لا يزال مفهوم وحدة القصيدة محل أخذ ورد من الأدباء والنقاد حيث فُسِّر تارة بوحدة الموضوع ، وأخرى بوحدة الصياغة ، والبناء التركيبي وثالثة بالوحدة العضوية ، والمعروف أن كل نص له موضوع واحد ، وغرض واحد ، وإن تعددت الأفكار بداخله ، وتنوعت التراكيب والصور فيه والذي يراجع الشعر القديم – وهو المتهم بخلوه من الوحدة – يجد الترابط الشديد بين أفكاره ، والتي تبدو للوهلة الأولى متنافرة ، أو على الأقل لا صلة بينها .

ومن أوائل من أشار إلى هذه الوحدة ابن طباطبا في عيار الشعر ، حيث يقول:

(وأحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيتا على بيت دخله الخلل ، كما يدخل الرسائل

١ - أسرار البلاغة / ٣ .

والخطب إذا نقض تأليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها،وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها،والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه .

بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ، ودقة معان وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا ، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغا ، لا تناقض في معانيها ، ولا وهن في مبانيها ، ولا تكلف في نسجها)[1].

بهذا الوضوح ، وهذا التفصيل يتبين حضور مفهوم الوحدة العضوية في فكر ابن طباطبا ، لأن القصيدة عنده قائمة على النظم والتأليف ، واقتضاء كل كلمة ما بعدها ، ورفض الحشو الذي يفصل بين الأجزاء ، ويرى بعضهم أن الوحدة عنده (وحدة منطقية ، واهتمام بالمعنى ، وبتوالي الأفكار ، وانبثاق كل فكرة من سابقتها ، وابن طباطبا في كل ذلك يتفقد الشطور ، ويرتبها ترتيبا منطقيا أكثر مما هو شعري ، وكأن السامع لا يتابع من القصيدة إلا معناها كما أنه يحتكم للعقل وحده في تسلسل المعاني)[2].

---

١ - عيار الشعر / ١٢٩.

٢ - وحدة القصيدة في عيار الشعر لخليل الموسى – مقالة في مجلة التراث العربي العدد ١١١ السنة الثامنة والعشرون عدد رمضان ١٤٢٤ هـ .

وهذا كما أرى تجنٍّ على ابن طباطبا لأنه وإن كان يعتمد العقل والترتيب المنطقي ، فليس ذلك إلا من باب التجويد للصنعة ، ومراجعة الفن ليخرج في شكل لا يقل عن النموذج الأمثل الذي يسعى جاهدا إلى احتذائه هو ومن يأتي بعده من الشعراء .

أما أن يكون تحكيم العقل والترتيب المنطقي امتثالا لآراء أرسطو فهذا كما يقول الشيخ أبو موسى – أعزه الله – مأخوذ من كهف علي بابا !!! (١).

وابن طباطبا حريص على أن يتذكر السامع القصيدة ، وأن تظل عالقة في ذهنه من خلال موضوعها الواحد ، وتآلفها وانسجامها ، والعلاقات القائمة بين أجزائها ، ففكرة الوحدة هنا قائمة على النظم والتأليف ، وترتيب المعاني ، واصطفاء الألفاظ ، ودقة الاختيار حتى تنشأ العلاقات بصورة طبيعية ، غير متكلفة ، ومن هنا تلحظ الربط الشديد بين البلاغة والنقد في دائرة وحدة القصيدة .

يقول: وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه ، فيلائم بينها، لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها)(٢).

---

١ - يقول الشيخ أبو موسى – أعزه الله –(حينما نجد الميل الشديد للثقافة اليونانية ، وزعم وجودها حيث لا توجد ، والقول بأنه سبب في نضح واستقامة ومنهج من توهموها في كلامه ، فاعلم \أنك في كهف علي بابا ويقول : ليس في كلام واحد ممن طوروا وجددوا في العصر العباسي كلمة واحدة تشير إلى عناصر من الفكر اليوناني هي التي بعثت هذا ، وإنما هي كلمات قيلت بعد عصر الاستعمار وطبخت في مطابخ كهف علي بابا) تقريب منهاج البلغاء ص ١٩ .

٢ -عيار الشعر ١٣٠ .

راجع هذا مع كلام الإمام عبد القاهر عن النظم، وأنه (ليس سوي تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)[1].

وقوله:(هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة ، وكل ما يكون به النظم دفعة ، وينظر منه في مرآه تريه الأشياء المتباعدة الأمكنة قد التقت له ، حتى رآها في مكان واحد ، ويرى بها مشئما قد ضم إلى معرق ومغربا قد أخذ بيد مشرق)[2]

ولا يوجد أحد يقول: (هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس)[3].

أقول: انظر إلى كل ذلك لتتأكد من أن فكرة وحدة النص وتلاؤمه هي فكرة النظم التي قامت عليها نظرية الإمام عبد القاهر – رحمه الله – .

ولعل إلحاح ابن طباطبا على أهمية وحدة القصيدة يرجع إلى اتهام الشعر القديم بكثرة موضوعاته ، وخلوه من الهدف الواحد ، لهذا تراه يعيد **ويكثر من قول** : تفقّد القصيدة ، وتأمل الأجزاء ، وألا (يباعد الشاعر كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كل مصراع

---

١ - دلائل الإعجاز ص١ .
٢ - دلائل الإعجاز ص ١.
٣ - الدلائل / ١٦ ، ١٧.

هل يشاكل ما قبله ؟)[1].

وابن طباطبا – رحمه الله – لم يكتف بالوحدة الموضوعية في القصيدة وهو يرشد الشعراء ، فلا تخلو قصيدة من ذلك أيا كانت ، فلكل قصيدة غرض أساسي ، حتى ولو حشد فيها الشاعر عشرات الأفكار و المهم أن تنسجم مع الغرض العام ، فلو قال قصيدة في الغزل – مثلا – فله أن يذكر الدنيا وبهجتها ، والورد وجماله ، والنجوم وضياءها .... إلخ.

وإن هو رثى ذكر زوال الدنيا وتقلبها ، وفناءها ، وعدم الاغترار بها ومرارة العيش فيها .وهكذا .

لكن ابن طباطبا لم يكن يهدف إلى هذا ، بل كان يهدف إلى قصيدة تصب صبّا ، وتفرّغ إفراغا حتى تكون ككلمة واحدة ، وهو ما يطلق عليه الوحدة العضوية ، لذلك تحدث عن بناء القصيدة ، وتوافقها ، والتنسيق والترتيب ، وتعليق كل بيت بما حوله ، وسلك القصيدة في سلك واحد ويكون كالنساج ، وهكذا فتح الباب للنقاد من بعد للحديث عن صور أخرى من الوحدة ، **مثل** : وحدة الجو النفسي ، والوحدة الفنية ، والوحدة الحيوية . إلخ .

---

١ - عيار الشعر ٧٤ .

ويبقى شيء ،وهو : هل كان ابن طباطبا نفسه في شعره يلتزم النموذج العربي القديم ؟

- وهل سلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغتهم ، وتصرفهم في مكاتباتهم ؟
- وهل تعددت الأفكار في شعره كما هو في الشعر القديم ، من غزل ومديح وشكوى ووصف الديار والفيافي والنوق والرعود والبروق . بحيث يتخلص من غرض إلى غرض بألطف تخلص، وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عن الأول، بل متصلا به ، ممتزجا معه كما طلب من الشعراء ؟
- الواقع أنه في شعره بخلاف ذلك ، ومن الغريب أن قصائده تكاد تكون بأكملها في غرض الوصف ، فهو يصف الطبيعة بكل ما فيها ولقد أثنى النقاد على تفوقه في وصف الليل والنجوم والأزهار، ومن جميل ما أورده ابن منظور له في أنسه بالليل والكواكب ، وبكائه عليهما وتوجعه لفقدهما : **قوله**

ياليل مالك لا تغيث كواكبا زفراتها وجدا عليك تقطع

لو أن لي بضياء صبحك طاقة ياليل كنت أوده لا يسطع

حذرا عليك ، ولو قدرت بحيلتي جرّعته الغصص التي تتجرع
يا صبح هاك شبيبتي فافتك بها ودع الدجى بسواده يتمتع
أفقدتني أنسي بأنجمها التي أصبحت من فقدي لها أتوجع[1]

وهذا يعني أن ابن طباطبا الناقد العالم لم يكن هو ابن طباطبا الشاعر ولا أرى عجبا في ذلك ، فالرجل كان يحمل أمانة في فكره يريد من الشعراء القادمين أن يحملوها ، وإن لم يلتزم هو بها في شعره .

وإذا لم يكن ابن طباطبا قد التزم الشكل القديم من تعدد الأفكار والموضوعات ، إلا أنه التزم النظم والسبك ، وحسن اختيار الألفاظ ووحدة النص ، وكون القصيدة كالكلمة الواحدة مما يُعلي عنده مفهوم الوحدة العضوية ، ولا يمكن أن تكون الوحدة عنده (مفهوم شكلي) فالحرص على الصناعة لا يعني إهمال التجربة ، وهذا دَفَعَ عجلة الشعر إلى الأمام ، وليس العكس .

١ - أصفهان في تراث العرب للدكتور عبد الرزاق حسين / موقع جمعية اللسان العربي الدولية على النت .

ولقد قال في المدح وغيره ، ومن شعره في المدح :

يا سيدا دانت له السادات وتتابعت في فعله الحسنات

وتواصلت نعماؤه عندي فلي منه الهبات خلفهن هبات (١)

وليس في إكثاره من شعر الليل والنجوم ما يعيب ، لأن (الشعراء في الطبع مختلفون ، منهم من يسهل عليه المديح ، ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثي ، ويتعذر عليه الغزل ...)(٢)

والذي ينبغي ألا ننساه هنا أن قضية الوحدة في عيار الشعر تلتقي مع قضية النظم وبناء العبارة، ثم بناء القصيدة حتى تكون كالكلمة الواحدة مما يعني أن الرجل اعتمد النموذج العربي واختار له المقياس البلاغي في بناء القصيدة ووحدتها .

---

١ - معجم الأدباء ١٧ / ١٤٣.
٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٩.

مفهوم الصدق في كتاب عيار الشعر

مصطلح الصدق موصول بالقلب ، وله مداخل كثيرة إليه ، فهو إذا استخدم في الموضوعات التجريبية العلمية فدلالته تعني الوضوح والدقة والبعد عن المبالغة ، ومجانبة الخيال ، لكنه في الأدب يحمل ظلالا أخرى وإذا كنت في الشعر فالأمر أوسع وأعمق ، وابن طباطبا في كتابه عيار الشعر طاف حول عدة معان للصدق ، لكنها كلها تؤمن بأن الأصلح للشعر هو الصدق .

ولما كان الهدف الذي يدور حوله ابن طباطبا في كتابه – وهو طبع الشعر الحديث بطابع الشعر القديم ، ودفع الشعراء إلى أن يحذوا حذوه ، لأنه ديوان العرب – كان الإلحاح على الصدق في كلامه أمرا ضروريا ، فالصدق والشعر لديه قرينان .

ويرى الدكتور إحسان عباس أن ابن طباطبا هو أول من أثار قضية الصدق والكذب في الشعر ، وسر هذا أنه يرى الجمال في التناسب ، والصدق صنو للتناسب الجمالي في القصيدة ، ثم إن التناسب عمل ذهني يعرض على العقل ليقبله ، أو يحكم فيه ، والعقل لا يطمئن إلا إلى الصدق ، وهو يستوحش من الكلام الجائر الباطل(١).

---

١ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٨ .

وللصدق دلالة واحدة في كتاب عيار الشعر ، وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، بأن ينقل الشاعر تجربته كما عاشها ، وهو ما عبر عنه ابن طباطبا بـ (صدق العبارة) أو كما ينبغي أن تكون ، **ويشرح ذلك فيقول** :

(ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى ، وهي موافقته للحال التي يعد معناه لها ، كالمدح في حال المفاخرة ، وحضور من يُكبت بإنشاده من الأعداء ، ومن يُسر به من الأولياء ، وكالهجاء في حال مباراة المهاجى والحط منه حيث ينكى فيه استماعه له ، وكالمراثي في حال جزع المصاب وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه ، والتعزية عنه ، وكالاعتذار والتنصل من الذنب عند سل سخيمة المجني عليه ، المعتذر إليه ، وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران ، وطلب المغالبة . إلخ)[1].

وكل ذلك شرح لمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فالصدق الفني هو البلاغة، ومجيء الكلام موافقا لحال السامعين .

ويتفرع من هذا النوع نوع آخر هو به لصيق ، وهو ملاءمة المعنى للمبنى ، أو مطابقة المعنى للمبنى ، وهذا داخل في الصدق الفني ، وإذا كان الوجه الأول منه هو مطابقته للغرض ، فإن المطابقة هنا قائمة بين المعنى واللفظ ، وكلما حسنت العبارة ، وأظهرت ما يكمن في الضمير كان ذلك

١ - عيار الشعر ٢٠ .

وجها من أوجه الصدق عند ابن طباطبا ، ويترتب عليه فهم المعنى والارتياح له ، والابتهاج به ، لأنه قد حدث توافق بين الطبع ، أو الفهم والمعنى ، وكل ذلك يظهر بوضوح حين تعبر الألفاظ عن حكمة ،أو مثل أو تجربة ، أو تشبيه ، فكل هذه الأمور مألوفة للنفس ، راسخة في الوجدان فإذا أعيدت عليها في عبارات جميلة أحست النفس بصدقها .

ولا يعد هذا ضربا مختلفا عن سابقه بل هو متفرع منه ، فصدق التجربة هو الصدق في التعبير عن ذات النفس .

ومن العجيب أن يقال:إن من أنواع الصدق عند ابن طباطبا الصدق التاريخي ، وهذا بعيد عن كلام الرجل، لأنه كان يشرح بعض النماذج من الشعر الغث المستكره الغلق ، الذي ينبغي اجتنابه بسبب التواء الكلام وخروجه عن النظم ، وقبح العبارة فيه ، وضرب على ذلك أمثلة ، **منها قول الشاعر** :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبو يقاربه

ثم التفت إلى أن هناك حكايات لا يمكن التعديل منها ، وهي الحكايات التاريخية ، التي ينبغي أن تنقل كما هي مما يُتسامح فيه بعض الشيء مع الشاعر ، إذا أراد وضعها في الشعر ، ونسجها مع خيوطه ، ودمجها في

معاطفه ، وإن كان ينبغي أيضا على الشاعر إذا اضطر إلى ذلك أن يدبّره تدبيرا ، وأن يبني شعره على وزن يحتمل الزيادة في الكلام ، كما فعل الأعشى في خبر السموأل .

إذن لا علاقة هنا بالصدق التاريخي ، وليس هو مما يتحدث عنه في الشعر العربي ، وابن طباطبا في كل ما سبق كان يتحدث عن صوغ العبارة وصدقها في نقل التجربة من الشاعر إلى السامع ، ولما كانت هناك تجارب تاريخية تحتاج إلى أوزان أرحب ، التفت إليها الرجل ، ونبه عليها فقط .

أما الذي فاق كل شيء فهو الادعاء بأنه اعتبر الصدق الأخلاقي شرطا، وعيارا لحسن الشعر ، ثم يوصف بالسذاجة ، أو المثالية !!!!!

والرجل لم يقصد إلى هذا ، ولم يعتبر الصدق الأخلاقي شرطا وعيارا لحسن الشعر ، وأن ما عداه يُعد انتقاصا ، فهذا لم يقله ، وليس كل كلمة صدق في الكتاب تعد نوعا من الأنواع !!!!!

وهذا ما تراه عند الدكتور إحسان عباس ، والأعجب أن ترى دراسات تنقل عنه ، دون أن ترجع إلى عيار الشعر ، وتتدبر كلام ابن طباطبا ومقصوده ، حتى صار كلام الدكتور إحسان خاتما يختم به كل باحث كلامه فيصير صدقا !!!.

وموضوع الصدق الأخلاقي - الذي اتهم الرجل بسببه أنه ساذج أو مثالي - جاء في معرض حديثه عن محنة شعراء عصره ، وأنهم سبقوا إلى كل معنى بديع ، ولفظ فصيح ، وحيلة لطيفة وخلابة ساحرة .

وعلى ذلك فإما أن يأتوا بمثل ما جاء به الأقدمون ، وعندها سيكون كلامهم معادا ، وإما أن يزيدوا ، ويتفننوا ، ويتلطفوا ، ويبدعوا ، وعندها سيُتلقى شعرهم بالقبول .

لكن كيف يزيدون على صنيع القدماء، والقدماء ركبوا شعرهم على القصد للصدق مديحا وهجاء، وافتخارا ووصفا، وترغيبا وترهيبا ؟

ثم ما معنى القصد للصدق ؟

إنه يعني في فكره اكتمال الصفة، بحيث لا يمكن الزيادة عليها فالقدماء وصلوا بالمديح إلى غايته ، وكذلك بالهجاء ، والفخر والوصف .. إلخ .

والسؤال: ماذا يفعل الشعراء المحدثون إذن ؟

يجيب ابن طباطبا بأن لهم التلطف ، في تناول الأصول ، حتى تبرز في كسوة أخرى ، وأن يديم النظر في الأشعار حتى ترسخ أصولها في قلبه وتلتصق معانيها في فهمه ، فإذا قال شعرا خيل إليك أنه أتى بالجديد ، مع أن أصول شعره مرفودة من شعر القدماء .

أما الصدق بمعنى قول سيدنا عمر في زهير : أنه لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه ، فلم يشر إليه ابن طباطبا من قريب ولا من بعيد .

ولم يبق إلا الصدق في الصورة ، أو صدق التشبيه ، وهو أن تكثر مواطن الالتقاء بين المشبه ، والمشبه به ، ويقصد ابن طباطبا من وراء ذلك أيضا إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، يقول :(فعلى الشاعر أن يتعمد الصدق ، والوفق ، في تشبيهاته ، وحكاياته ، ويحضر لبه عند كل مخاطبة ووصف)([1]). فما معنى هذا ؟

إنه لم يترك القارئ ليخترع ، بل فسر كلامه قائلا: (فيخاطب الملوك بما يستحقونه ، من جليل المخاطبات ، كما يتوقى أن يرفع العامة إلى درجات الملوك ، ويُعدّ لكل معنى ما يليق به ، ولكل طبقة ما يشاكلها ، حتى تكون الاستفادة من قوله في وضعه الكلام مواضعه أكثر من الاستفادة من قوله : في تحسين نسجه ، وإبداع نظمه)([2]).

هذا هو مفهوم صدق التشبيه عنده ، وهو أن يعد لكل معنى ما يليق به من الألفاظ.

---

١ - عيار الشعر / ٣٥ .
٢ - عيار الشعر ١٢ .

إن كتاب عيار الشعر حين استخدم مصطلح (الصدق) إنما أراد :
مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وجميع المعاني التي دار حولها هذا المصطلح في عيار الشعر تعود إلى هذا المعنى ، وهذا صنيع العرب الذي ينبغي أن يحتذى .

إن الصدق منهج في القول ، وطريقة في التعبير ، وسنة اتبعتها العرب وينبغي أن تحتذى ، وكلما طابق الكلام مقتضى الحال كلما تحقق فيه الصدق

وانظر إلى تحليل ابن طباطبا لبيت امرئ القيس ، والذي فيه :

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

حيث النجوم تظل زاهرة طوال الليل تماما مثل مصابيح الرهبان الذين يتعهدونا بالزيت حتى تبقى مضيئة طوال الليل ، **يقول :**

(تشب لقفال ، لأن أحياء العرب بالبادية إذا قفلت إلى مواضعها التي تأوي إليها من مصيف إلى مشتى ، ومن مشتى إلى مربع ، أوقدت نيرانا على قدر كثرة منازلها ، وقلتها ، ليُهتدي بها .

فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيران ، واجتماعها في مكان بعد مكان على حسب منازل القفال ، من أحياء العرب ، ويهتدي بالنجوم كما يهتدي القفال بالنيران الموقدة لهم)[١].

---

١ - عيار الشعر / ٢٧ .

هذا هو الصدق الذي يقصده ابن طباطبا ، إنه مجيء الكلام موافقا للحال مما يؤدي إلى تضاعف الحسن ، وميل القلوب إلى الكلام ، فإذا خرج الكلام عن الصدق ، لا نقول إنه انتقل إلى الكذب ، بل انتقل إلى الغلو والإفراط .

وخلاصة القول: (أنه لا يمكن الوقوف بالصدق عند الحد المعروف له وهو مطابقة الواقع ، أو الكذب الذي هو مخالفة الواقع ، خاصة حين نتحدث عن فنٍ له شأن خطير في الحياة ، وهو الشعر ،لأن الواقع في دنيا الناس لا يجب بالضرورة أن يكون كذلك في دنيا الشعراء ، إذ لا مجال إلى الطعن في أن الواقع في الفنون – والشعر واحد من بينها ، إن لم يكن أرقاها – ليس هو الواقع الذي يعرفه الناس ، ولو اعتقدنا غير ذلك لوقعنا في خطأ جسيم)[١].

١ - الصدق والكذب في الشعر – مقالة للدكتور / محمد سعد فشوان – الموسوعة الأسلامية على النت .

السرقات ، أو المعاني المشتركة في فكر ابن طباطبا

إذا كان هدف ابن طباطبا من كتابه هو دفع الشعراء المحدثين إلي السير علي النموذج العربي القديم ، واعتماد أغراضهم وصورهم وألفاظهم وطرائق التعبير عندهم ،فإنه لابد أن يتعرض لقضية السرقات أو ما أطلق عليه:(المعاني المشتركة) وقد افرد النقاد لهذا الموضوع كتباً خاصة ، أو حديثا خاصا ، ومن الكتب التي أُفردت لهذا الموضوع :

- ❖ **سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه لابن السكيت .**
- ❖ **وسرقات البحتري من أبي تمام .**
- ❖ **وسرقات الشعراء لأحمد بن أبي طيفور .**
- ❖ **وسرقات أبي نوس للمهلهل بن يموت .**

فأخذُ الشعراء من الشعرء أمر قديم ، بل لا يكون الشاعر شاعرا إلا إذا نظر إلى شعر السابقين ، وعنترة العبسي ، **وهو الشاعر الجاهلي يقول :**

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعد توهم

يريد أن يقول : إن الشعراء قبلة أتوا علي كل شئ ، ولم يبقوا له ما يقوله،وكأنه أحاط بذلك ، واستوعبه (كما يدل على أنه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر..)[1].

---

١ - العمدة في محاسن الشعر ١/ ٢٦.

وقد انتهت الدراسات البلاغية إلي عد الحديث عن السرقات من الأمور الملحقة بعلم البديع من حيث : [بيان حسن المأخذ وقبحه] (١).

وهذا الذي نص عليه ابن طباطبا من أول حديثه ، فالأخذ عنده للمعني وليس للفظ ولابد أن (يبرز هذا المعني المأخوذ في أحسن من الكسوة التي عليها)(٢).

[ولا يعذر الشاعر في سرقته حتي يزيد في إضاءة المعني ، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول](٣)، فإن فعل ذلك لم يُعب بل وجب له الفضل للطفه وإحسانه .

تلك هي اللبنة الأولي عند ابن طباطبا ، وقد مثّل لها بأخذ أبي نواس من الأحوص(٤): **حيث قال :**

وإن جرت الألفاظ منا بمدحه لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

١ - بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي / ٦٦٨.
٢ - عيار الشعر ٧٩.
٣ - طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٧٦.
٤ - الأحوص الأنصاري١٠٥ هـ / ؟ - ٧٢٣ م عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري. من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه،شاعر إسلامي أموي هجّاء، صافي الديباجة، من طبقة جميل بن معمر ونصيب، وكان معاصراً لجرير والفرزدق.

حيث أخذه من الأحوص في قوله :

متي ما أقل في آخر الدهر مدحة فما هي ألا لابن ليلي المكرم [1]

ثم بنى على ذلك بناء شامخًا ، واستل من الفكرة الصغيرة فكرة أكبر وفعل ما يفعله العلماء حين يقعون على الجوهر الثمين .

لاحظ معي هذا التدرج والنمو في الفكرة، فالبداية أن يأخذ الشاعر معنيمن شاعر آخر ، ويلبسه كسوة جديدة ، ثم تنمو الفكرة ، بحيث ينقل الشاعر المعنى من غرض إلي غرض ، أي: من مدح إلي هجاء أو العكس .

ثم تنمو الفكرة فينقل الشاعر المعاني من جنس إلي جنس بحيث (يستعمل الشاعر المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه)([2])، أي : من النثر الي الشعر، أو العكس .

ثم تنمو فيستعمل المعني الموجود في وصف إنسان ويستخدمه في وصف فرس أو غيره ، وهكذا تنفتح الأبواب أمام الرجل باباً بعد باب والأصل واحد ، وهو فكرة النقل .

وهذه الفكرة غائبة عن كثير من أهل اللغة والأدب مع أنها حاضرة في عقل القدماء كابن طباطبا ومن هم في طبقته ، ونستطيع جميعاً أن نزيد فيها

---

١ -عيار الشعر / ٧٩.
٢- عيار الشعر / ٨٠.

لأن أبوابها أوسع من أن تغلق ، ولو أَخَذَت حظها من الاهتمام لظهر من ورائها الأعاجيب .

وتستطيع أن تتخيل هذا حين تنقل علوم القرآن إلي عالم الشعر ويُدرس الشعر من خلال أسباب الإنشاد ، والوقف والابتداء ، وما وقع في الشعر من لغات ولهجات ، والناسخ والمنسوخ من الشعر ، وعلم إنشاد الشعر ، وأسرار ترتيب القصائد عند شاعر واحد ، أو في موضوع واحد ومعجم المعاني الشعرية ، وعادات العرب من خلال شعرهم .إلي آخره .

هذه الأبواب التي لو طرقت لكان من ورائها علم غزير ، وهي في الأصل قائمة علي فكرة النقل واستعارة المعاني ، ودعني أعود بك الي موضوع السرقات .

ينظر ابن طباطبا إلى السرقات على أنها صنعة ، وإعادة صياغة ، وهو أمر شائع بين الشعراء ، حيث كانوا يأخذون من بعضهم ، ولا ينكر أحدهم على الآخر ، وابن المعتز يذكر في طبقات الشعراء أن : أبا الشيص[1]

١ -أ بو الشيص الخزاعي - ١٩٦ هـ / ٧٤٧ - ٨١١ م محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي.
شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ.من أهل الكوفة غلبه على الشهرة معاصراه صريع الغواني وأبو النواس. وانقطع إلى أمير الرقة عقبة بن جعفر الخزاعي فأغناه عقبة عن سواه.ولقبه أبو الشيص ويقال للنخلة إذا لم يكن لها نوى وذلك رديء مذموم.وهو ابن عم دعبل الخزاعي، عمي في آخر عمره قتله خادم لعقبة في الرقة.

اجتمع مع مسلم بن الوليد ، وأبي فراس – الفرزدق - ، ودعبل(1)، وأنشدهم

أبو الشيص أبياتا **قال فيها** :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليمني اللوم

وأهنتني فأهنت نفسي جاهدا ما مَن يهون عليك ممَّن يُكرمُ

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم

قال أبو نواس: أحسنت والله، وملحت ، ولتعلمن أني سآخذ منك هذا المعنى فيشتهر ما أقول ، ولا يشتهر ما قلت ، فأخذه وضمنه قوله **في الخصيب** :

فما جازه جود ، وما حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

فصار هذا لأبي نواس ، ولم يسر بيت أبي الشيص ، إلا دون ذلك)(2)

لأنه تصرف في المعنى ، وزاد فيه ، ووضع بصمته وخاتمه عليه ، والمعنى هنا عام ، لا يقال فيه : سرق ، فإذا كان المعنى عاما ، وقيل فيه شيئ ، ثم جاء

---

١ - دعبل الخزاعي١٤٨ - ٢٤٦ هـ / ٧٦٥ - ٨٦٠ مدعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي.شاعر هجّاء، أصله من الكوفة، أقام ببغداد.في شعره جودة، كان صديق البحتري وصنّف كتاباً في طبقات الشعراء.

٢ - طبقات الشعراء ص ١٩

آخر فأجاد تصويره ، وأخرجه في ثياب أزهى وأبهى ، فلا يعاب ، بل يمتدح بقدر ما أحسن من صنعة ، وقد ذكر الشيخ أبو موسى – أعزه الله – بيتي بشر بن أبي حازم (١):

إذا مالمكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت أذرع المثرين عنها سما أوس إليها فاحتواها

وأخذ الشماخ (٢) المعنى فقال :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وذكر الشيخ صنيع الشماخ ، وموطن تفوقه ، مع أن بيتي بشر من الحسن بمكان إلا أن صنعة الشماخ ، وإيجازه وتلطفه كان له الأثر في اشتهار بيته(٣).

وللشعراء لطائف في أخذهم، وبدائع في مداخلاتهم ، كأن يسمع المعنى ، فيأتي لك بما يشبهه ، وكأنه غيره ، **كما فعل المتنبي بقول القائل :**

لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل(٤)

فقال :

---

١ - بشر بن أبي حازم من بني أسد بن خزيمة

٢ - الشماخ الذبياني؟ - ٢٢ هـ / ؟ - ٦٤٢ م الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني.شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً، وكان أرجز الناس على البديهة. جمع بعض شعره في ديوان. شهد القادسية، وتوفي في غزوة موقان. وأخباره كثيرة. قال البغدادي وآخرون: اسمه معقل بن ضرار، والشماخ لقبه.

٣ - تقريب منهاج البلغاء لحازم للدكتور أبي موسى / ١٤٢ – وهبة ٢٠٠٦ م والقصة عند ابن سنان في سر الفصاحة / ٧٥.

٤ - والبيت للطرماح بن حكيم الطائي - انظر شرح ديوان الحماسة لمرزوقي ١/ ٧٢.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

فترى المعنى، وقد اكتسى من الألفاظ ما أخرجه عن ظاهر المعنى الأول، وكأنه شيء آخر ، ومعنى آخر .

المهم أن هناك لطف وصنعة في الأخذ والاستعارة ، ولا بد للاحق أن يأخذ من السابق ، شريطة البعد عن الألفاظ ، ولا يعد الناقد (من جهابذة الكلام ، ولا من نقاد الشعر حتى يميز بين أصنافه ، وأقسامه ، ويحيط علما برتبه ومنازله ، فيفصل بين السرق والغصب ، وبين الإغارة والاختلاس ويعرف الإلمام من الملاحظة ، ويفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه ، والمبتزل الذي ليس واحد أحق به من الآخر ، وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه واجتباه السابق فاقتطعه)(١).

ويؤكد ابن طباطبا علي الحيلة ، والتخفي ، والتلبيس علي السامع حتي لا يتبين الأخذ ، كأن ينقل المعني المأخوذ من جنس النثر إلي جنس الشعر أو

---

١ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ٢٠٦/١ .
والسرق في الشعر مانقل معناه دون لفظه ، وأبعد في أخذه ، والإغارة: أن يصنع الشعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً، فيروى له دون قائله، وأما الغصب فمثل صنيعه بالشردل اليربوعي، وقد أنشد في محفل:
فما بين من لم يعط سمعاً وطاعةً ... وبين تميم غير حز الحلاقم
فقال الفرزدق: والله لتدعنه أو لتدعن عرضك، فقال: خذه لا بارك الله لك فيه.
أما الاختلاس فهو تحويل المعنى من نسيب إلى مديح ، ويسمى أيضاً نقل المعنى
والإلمام : أن يتساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ وقيل إن ذلك هو النظر والملاحظة، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر، وانظر في كل ذلك كتاب العمدة لابن رشيق ١/ ٢٠٧.

العكس وهذا الفكر يعطي رخصة للشعراء في أخذ المعاني من غيرهم بل إنه يدفعهم إلي ذلك ، ولا عجب فالرجل مهموم بمناهج الأقدمين والسير علي طريقهم في كل شئ عدا ما عيب عليهم منه .

ومادام ابن طباطبا يدفع الشعراء إلي سلوك سبيل السابقين فعليه أن يبين لهم طرائق الأخذ ، ووسائل التلطف في الاستعارة حتي لا يري أحد السرقة ، ويري لسان الشعراء المحدثين كأنه لسان الفحول السابقين ، ومن هنا يتعود اللسان الحديث علي الجيد الفصيح ، وينطبع الذوق بطابع الشعر الأول ،حتى يصير الأمر كأنه اشتراك في المعاني بين الشاعرين .

ثم يعلل ابن طباطبا هذا المذهب بأن أشعار الشعراء كلها متناسبة أي قريبة بعضها من بعض ، بل (إن شعر الشعراء قريب من كلام الخطباء وخطب البلغاء ، وفقر الحكماء)(١).

وكأنه هنا يتحدث عن الشعر الذي يحمل المعاني الأخلاقية ، أو شعر المناسبات ، فما دام الشعر قريباً من الخطب والحكم فلا عجب أن يأخذ الكل من الكل ، ولا يعد هذا إلا من قبيل المعاني المشتركة ، والفضل ساعتها لمن أتقن الصياغة ، وأحسن السبك ، وأجاد النظم ، وأبدع الوشي .... إلخ .

١- عيار الشعر ص ٨١ .

ثم انطلق ابن طباطبا إلي الشواهد ، وهي كثيرة ليؤكد بها هذا المذهب وهي **تدور حول أمرين مهمين :**

الأول : أن المعاني في الحكم المنثورة والشعر المنظوم متناسبة قريبة ، وعليه فلا مانع من الأخذ .

والآخر : أن الأخذ والتلطف قد يمتد إلي ما هو أبعد من ذلك كأن تأخذ المعني من العجم وتصوغه شعراً عربياً ، والحكمة ضالة المؤمن .

ففي الأمر الأول ذكر أن عطاء ابن أبي صيفي الثقفي دخل علي يزيد ابن معاوية فعزّاه عن أبيه وهنأه بالخلافة ، وهو أول من عزّي وهنأ في مقام واحد ، **فقال** :

(أصبحتَ رزيت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله قضي معاوية نحبه فيغفر الله ذنبه ، ووليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة ، فاشكر الله علي عظيم العطية ، واحتسب عند الله جليل الرزية ، وأعظم الله في معاوية أجرك ، وأجزل علي الخلافة عونك .

فأخذه أبو دلامة [1]فقال يرثي المنصور ويمدح المهدي :

عيناي واحدة تري مسرورة ... بإمامها جزلي وأخري تزرف
تبكي وتضحك تارة ، يسوؤها ... ما أنكرت ، ويسرها ما تعرف
فيسوؤها موت الخليفة أولاً ... ويسرها أن قام هذا الأرأف
ما إن سمعت ولا رأيت كما أري ... شعراً أرجله وآخر أنتف
هلك الخليفة يال أمة أحمد ... وأتاكم من بعده من يخلف
أهدي لهذا الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم وزخرف
فابكوا لمصرع خيركم ووليّكم ... واستبشروا بقيام ذا وتشرفوا)[2]

أما الشاهد الثاني فهو ما يتعلق بالحكمة التي تراها عند الناس كافة عرباً وعجماً ومنها ما نقله ابن طباطبا في عيار الشعر عن أرسطو أنه لما مات **الأسكندر قال** : (لطالما كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من وعظه بسكوته .

١- أبو دُلامَة؟ - ١٦١ هـ / ؟ - ٧٧٧ مزند بن الجون الأسدي.شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم كان أبوه عبداً لرجل من أسد وأعتقه.نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس، فكانوا يستلطفونه ويغدِقون عليه صِلاتِهم، وله في بعضهم مدائح.

٢- عيار الشعر ص ٨٠.

فأخذه صالح ابن عبد القدوس[١]، وقال فيه شعراً :

وينادونه وقد صم عنهم ثم قالوا وللنساء نحيب
من الذي عاق أن ترد جواباً أيها المقول الألد الخطيب
إن تكن لا تطيق رجع جواب فيما قد تري وأنت خطيب
ذو عظات وما وعظت بشئ مثل وعظ السكوت إذ لا تجيب

ثم اختصره أبو العتاهيه فقال :

وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا [٢]

وحين تقال الحكمة علي لسان العجم فلا سرقة، ولا أخذ ، ولا تأثر لأن أفكار البشر لها مواضع أقدام مشتركة ، وخصوصاً فيما كان مصدره الفطرة الإنسانية ، **مما كان يشير عبد القاهر إليه ويقول :**

(هذا في جميع اللغات ، وأصناف الناس ، ولو قارنت بلاغة أرسطو ببلاغاة واق الواق لوجدت عناصر مشتركة ، لأن الجميع من ولد آدم)[٣].

ثم إن ابن طباطبا يفتح باباً آخر في الأخذ وهو الأخذ من الحديث النبوي الشريف ، **ويذكر في هذا مارواه ابن عائشة قال :**

---

١ - صالح بن عبد القدوس- ١٦٠ هـ / ؟ - ٧٧٦ وهوبن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل.شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد. قال المرتضى: (قيل رؤي ابن عبد القدوس يصلي صلاة تامة الركوع والسجود، فقيل له ما هذا ومذهبك معروف؟ قال: سنة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الولد!) وعمي في آخر عمره.
٢ - عيار الشعر ٨٢.
٣ - تقريب منهاج البلغاء ص ٢٢.

انصرفت من مجلس حماد[١]، فقال لي أبي : ما حدثكم حماد ؟

فقلت : حدثنا أن النبي ﷺ قال :

" لو لم يلف ابن آدم إلا علي الصحة والسلامة لكفي بهما داء " .

فقال أبي : قاتل الله حميد ابن ثور ([٢])حيث يقول :

أري بصري قد خانني بعد صحة ، وحسبك داءً أن تصح وتسلما[٣].

فحميد أخذ الشطر الثاني من حديث النبي – ﷺ – وهو قوله :

(وحسبك داءً أن تصح وتسل)

ثم يفتح بابا آخر في الأخذ ، وهو : أن يأخذ الشاعر من شعر نفسه فربما أحسن الشاعر في معنى يبدعة ، فيكرره في شعره ، على عبارات مختلفة

---

١ - حماد عجرد؟ - ١٦١ هـ / ؟ - ٧٧٧ محماد بن يحيى بن عمرو بن كليب أبو عمرو مولى عامر بن صعصعة.
ذكر ابن النطاح أنه مولى بني عقيل، أصله ومنشؤه بالكوفة.وسبب تسميته بعجرد أنه مر به أعرابي في يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان وهو شبه عاري، فقال له: (تعجرد يا فلان)، والمتعجرد هو المتعري.وقيل غير ذلك.

٢ - حميد بن ثور الهلالي- ٣٠ هـ / ؟ - ٦٥٠ م حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، أبو المثنى.شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حنيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان.عده الجمحي في الطبقة الرابعة من الإسلاميين. وفي شعره ما كان يُتغنى به.

٣ - عيار الشعر ص ٨٢ والحديث رواه سيدنا أنس بلفظ آخر وهو " كفي بالسلامة داء " وقد أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده ،والميدان في مجمع الأمثال تحت عنوان : نبذ من كلام النبي صلي الله عليه وسلم كما ذكره المبرد في بصيغة يروي " الكامل ١٥٧.

وإذا انقلبت الحالة التي يصف فيها ما يصف ، قلب ذلك المعنى ، ولم يخرج عن حد الإصابة فيه، **ومثال ذلك ما قاله علي بن الجهم**(١):

قالوا حبست ، فقلت : ليس بضائري حبسي ، وأي مهند لايغمد

أوما رأيت الليث يألف غيله كبرا وأوباش السباع تردد

فلما نصب للناس ، وعري بالشاذياخ قال :

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسنًا وملء صدورهم تبجيلا

ما عابه أن بز عنه ثيابه فالسيف أهول ما يرى مسلولا

تشبه في حال حبسه بالسيف مغمدا ، وفي حال تعريته بالسيف مسلولا وبالليث إلفا لغيله تارة ، ومفارقا لغيله تارة (٢).

وهكذا ترى ابن طباطبا يفتح الأبواب أمام الشعراء ، بابا بعد باب ليطالعوا ، ويأخذوا ، ويتلطفوا في الأخذ ، وهو في كل ذلك يضع نصب عينية تيسير الأمر لهم حتى يسلكوا سبل الأولين ، ويحذوا حذوهم ،ويضعوا على ألسنتهم أساليبهم ، وفي قلوبهم معانيهم ، ثم يتفكروا كيف يصوغون تلك المعاني من جديد .

١- علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، من بني سامة، من لؤي بن غالب.
شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب فقاتلهم وجرح ومات.
٢ - عيار الشعر ص ٨٤٠.

فالغاية لم تهرب من فكره، والخيط لم يفلت من يده، سواء تحدث عن التشبيه، أو عن الألفاظ والمعاني، أو حتى عن السرقات، وتلك طبيعة العالم المهموم بأمته، الحريص على لغة قومه، الذي يعرف طريق الرشاد فيدفع القوم إليه دفعا.

القافية والوزن

القافية: (آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشاعر مراعاته ، وإعادته في كل بيت ، وسمي بذلك لأنه يقفو ما قبله)([١]).

وهي:(شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى الكلام شعرا حتى يكون له وزن وقافية)([٢]).

وابن طباطبا ينظر إليها على أنها القاعدة التي يتأسس عليها البناء الشعري ، فلا يأتي الشاعر بالبيت ، ثم يطلب له قافية ، فتغدو مقحمة قلقة مرذولة ، وإنما صنعة الشعر – كما يراها – أن يؤسس الشاعر قاعدته :

(قافيته) ثم يطلب لها ما يستقر عليها، من النظم ، يقول :

(وإن اتفقت له قافية ، قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر مضاد للمعنى الأول نقلها إلى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل

---

١ - شرح ديوان الحماسة ص ١٨٥.
٢ - العمدة لابن رشيق ١/ ٤٨.

ذلك البيت ، أو نقض بعضه ، وطلب لمعناه قافية تشاكله)(1).

ويبرهن على ذلك حين يعلق على إحدى القوافي بأنها لطيفة جدا ويقول معلقا على قصيدة أبي عيينة المهلبي(2) :

دنيا دعوتك مسمعا فأجيبي وبما اصطفيتك للهوى فأثيبي

دومي أدم لك بالوفاء على الصفا إني بعهدك واثق ، فثقي بي

يقول:(فقوله: " فثقي بي " لطيفة جدا،فيستدل بها على حذق قائلها بنسج الشعر)(3).

فالحذق تمثل في أن القافية تنسجم مع صدر البيت ، حيث قال :

(دومي أدم) **وفي آخره** : (إني بك واثق فثقي بي)

فالقافية في فكر ابن طباطبا ملتحمة ومعجونة بالمعني ، ولا تكاد تفصلها عنه ، بل هي منسجمة مع ألفاظ البيت ، وليست غريبة أو قلقة وحضورها في فكر الشاعر ينبغي أن يقدم عل حضور الألفاظ والتراكيب والصور ، وكأنها تمثل المركز والأساس ، ونقطة الانطلاق في النص .

---

١ - عيار الشعر /١١ .

٢ - أبو عيينة المهلبي وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة، وذكر الجاحظ في الرسائل أن اسمه عبد الله بن محمد ١/ ٩٩.

٣ - عيار الشعر /١١.

وهذا الحرص منه علي اصطفائها والعناية بها سببه أنها آخر ما يقرع السمع ، فيهتز لها السامع أو يعرض ، ويستحسنها المتلقي أو يستقبحها ، وبها يتم المعني أو ينقص .

ويقسّم ابن طباطبا القافية ، ويضع لها سبعة حدود ، ويعتز بما توصل إليه من حصر وتقسيم ، ويري أنه لم يسبق إلي هذا .

وحديثه عن القوافي كأنه رباط بين صدر الكتاب وعجزه ، فهو في اول الكتاب يقول : (فهمت – حاطك الله – ما سألت أن أصفه لك من الشعر والسبب الذي يتوصل به إلي نظمه ، وتقريب ذلك علي فهمك ، والتأني لتيسير ما عسر منه عليك) (١).

ويظل ابن طباطبا يبين ويوضح حتي جاءت آخر صفحة من الكتاب عن القوافي فيُطرح السؤال نفسه عليه ،**فيقول:**

(وسألت – أسعدك الله – عن حدود القوافي)(٢).

وهذا كما تري ضرب من البناء ، ليس للمعاني فقط ، ولكن بناء الكتب وتأليفها ، فابن طباطبا بصنيعه هذا يعلم الناشئة أيضاً كيف تؤلَّفُ الكتب ؟ وكيف تربط أوائلها بأواخرها ؟

---

١ - عيار الشعر ص ٩.
٢ - عيار الشعر ١٣٣.

فجعل القافية آخر الكتاب لتكون له قافية ، وكأن كتابه قصيدة من قصائده .

وتظهر الروح المنطقية ، والعقلية الرياضية في تناول ابن طباطبا للقوافي حيث يحصر الوجوه والأقسام التي تتأتي عليها في حروف العربية .

ثم يعيد تقسيمها إلي مطلقة ومقيدة .

ثم يقسمها تقسيماً ثالثاً إلي : ما يضاف منها إلي هاء المذكر وما يضاف منها إلي هاء المؤنث .

وتلك جماع القوافي التي لم يسبق إليها، ولم ينسي في أثناء كل هذا أن يوصي الشعراء بأن يختاروا منها أعذبها ، وأشكلها للمعني المقصود .

أما أوزان الشعر

فهي من جملة الأشياء التي تعد قبل إخراج النص ، فالشاعر – كما يري ابن طباطبا – يُعدّ الألفاظ ، والقوافي ، والوزن الذي يسلس له القول عليه قبل أن يخرج النص إلى عالم الناس.

ويستبعد أستاذي- محمود توفيق - هذا ، وينكر علي ابن طباطبا ما ذهب إليه ويقول إن (هذا بعيد عن الواقع الإبداعي للقصيدة ، فإعداد المكونات الصوتية والمعنوية للقصيدة قبل إبداعها لا يكون من شاعر يقرض الشعر من نفسه المفعمة بما يعتلج فيها من الموقف الشعري له إزاء حدث ما من أحداث الحياة .

الشاعر علي ما زعم ابن طباطبا – والكلام لأستاذي – يكون حاله حال عالمٍ أو باحث في ضرب من ضروب العرفان أريد منه أن يلقي بحثاً أو محاضرة في الناس ، **ولا أحسب أبداً أن أحداً يقول** : إن حال الشاعر في فرض القصيدة من ذوب نفسه الشاعرة بما لا يشعر به غيره ، وحال العالم في إعداد بحثه سواء ، لا يقولها أحد يُعتدّ بقوله)(١).

وحقيقة فإني أقرأ كلام ابن طباطبا من زاوية أخري تغاير الزاوية التي قرأ من خلالها أستاذي كلامه .

فابن طباطبا – وهو الشاعر المبدع الذي استشهد بشعره القاصي والداني ومنهم الإمام عبد القاهر في أكثر من موضع ٢ – كان يتحدث عن التهيئة النفسية واستنفار الشعور ، وإثارة العقل مع القلب ، واستحضار الملكات التي توائم الغرض.

ولا شك أن لكل نص سياقه ومقامه ، وحين تُستنفر الملكات النفسية والذهنية تستدعي من مخزونها ما يتوافق مع المقام الذي يولد فيه النص فهل القصيدة التي تقال في الغزل مثلاً تستدعي ملكات النفس والشعور الذي يُستدعي حين تقال قصيدة في الحرب ؟

---

١ - قطرات الندي ص ١٢٢.
٢ - أنظر أسرار البلاغة صفحات (٨٠-٨١-٨٧).

وهل المشاعر التي يهيجها الأديب ويستحثها في مقام الهجاء هي المشاعر التي تهيج في مقام المدح ؟

هذا ما يريده ابن طباطبا ،إنه استدعاء للمخزون اللفظي عند استجاشة المشاعر لتنساب منه الألفاظ والجمل والتراكيب ، تعبيرا عن تلك المشاعر التي ثارت في نفسه ، ولا يقصد أبداً – كما أفهم – أن يأتي الشاعر بقلم وأوراق ثم يكتب جملاً ومفردات وأوزان وقوافي ثم يصنع من كل ذلك قصيدة – هذا إن بَعُدَ عن فكر قارئ الشعر فهو عن الشعراء أبعد .

وابن طباطبا وهو يذكر تمخيض المعني وإعداد القوافي لم يكن يضع قواعد للدراسة بل كان يرسم للشعراء السبل التي ينبغي أن تسلك ليصلوا بذلك إلي صنيع القدماء الفحول .

إن الشاعر وهو في حال تجربته الشعرية يخرج من عالم الناس إلى عالمه هو ، ومن زمان الناس إلي زمانه هو ، ومن أعراف الناس وتصوراتهم إلي أعرافه هو وتصوراته ، ولابد أن يصطفي البيئة التي سيخرج إليها ويختار الحال والزمان والتصورات التي تتواءم مع قصيدته التي سيقولها وهذا كله يشمل استحضار المعجم اللفظي ، والمخزون الشعوري ، والفكر العقلي ، وكل ما يمكن به انتزاع القصيدة من رحم الغيب .

تلك قراءتي لفكر ابن طباطبا وهو يأمر بإعداد المكونات الشعرية ومنها الوزن والقافية .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على من ختمت به النبوات والرسالات ، وعلى آله ، وصحبه أهل البر والخيرات ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، **وبعد** :

فلن أعيد هنا ما أكدت عليه هناك ، فقط أختم هذا البحث بالتنبيه على أن تراثنا القديم لقي من الحيف ، والتشويه ما يجعله حجة علينا ، وليس حجة لنا ، وأن النصح لهذا التراث يحتم علينا أن نعيد قراءته مرات بعد مرات وأن نستحضر مع كل قراءة الزمان ، والمكان الذي ألف فيه ، والأحوال والمقامات التي صاحبته ، لأن هذه كلها إيضاءات تكشف ما وراء الجمل وتفسر ما غمض من التراكيب ، وتعلل للمذهب الذي سلكه كل عالم حتى لا نتهمهم بدون تثبت .

ولا شك أن كل كتاب من كتب الأقدمين في حاجة إلى أن يُفرد بدراسة مستقلة ، ويُقرأ بهدوء وصبر ، ويراعى عند قراءته البحث عن مقصوده ، وغايته ، وإذا وقعنا على هذه الغاية تبينت لنا مفاتيح الكتاب وأسرار الإلحاح على بعض الأشياء ، والإعراض عن بعض ، ووجه الترتيب

وسر اختيار العنوان ، وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن تتبدى من أول قراءة ، أو من ثاني قراءة ، ولقد قرأت كثيرا عن كتاب عيار الشعر ، فلم أجد إلا مفاهيم مبتسرة ، ورؤى متعارضة ، حتى كُلِّفت بهذا البحث فخلوت به وخادنته وصحبته وحده ، ولم أشرك معه أحدا في القراءة ، حتى تبين لي أن للرجل في كل جملة ، ومن وراء كل عبارة ، وكل بيت شعر يستشهد به همًّا يريد أن يزرعه زرعا في قلوب الشعراء المحدثين ، الذين يرى فيهم الأمل القادم للنهوض باللغة ، أو على الأقل الحفاظ عليها ضد الهجمات المتتابعة فأرشدهم إلى الطريق ، وأخذ بأيديهم في رفق إلى سواء السبيل ، ووصاهم وحذرهم ، ورغبهم ورهبهم ، وهو من وراء كل ذلك يستحضر غايةً ما غابت عنه قط ، فرحم الله أبا الحسن محمد بن محمد بن طباطبا ، وأجزل له المثوبة ، وألحقني به مع الصالحين ، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس بأهم المصادر والمراجع

١. أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي موقع الوراق على الشبكة الإلكترونية .

٢. أصفهان في تراث العرب الأدبي للدكتور عبد الرازق حسين - بحث في موقع جمعية اللسان العربي الدولية على الشبكة .

٣. الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية للدكتور محمد أبي موسى – وهبة – القاهرة ط ٢ ١٩٨٤ م .

٤. الأعلام لخير الدين للزركلي الطبعة السادسة دار : العلم للملايين .

٥. الأغاني لأبي الفرج علي الأصفهاني طبعة بولاق ١٢٨٥هـ .

٦. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع تصحيح السيد محمد الببلاوي مطبعة الهلال ١٨٩٦م.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني – تحقيق عبد الحميد هنداوي مؤسسة المختار القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٨. البديع لابن المعتز الموسوعة الشاملة الإصدار الثالث .

٩. بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي الطبعة السادسة مكتبة الكليات الأزهرية .

١٠. البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي تحقيق عبد السلام هارون ط الرابعة ١٤٠٠هـ .
١١. تاريخ أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق السيد كسروي حسن موقع الوراق على النت .
١٢. تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق عبد السلام تدمري الموسوعة الشاملة وملتقى أهل الحديث .
١٣. تاريخ النقد ألأدبي عند العرب لإحسان عباس الطبعة الرابعة ١٩٨٣ م دار الثقافة بيروت لبنان .
١٤. الحماسة. أبو تمام (حبيب بن أوس): ت: د. عبد الله عسيلان، ط(١) دار الهلال، الرياض ١٤٠١هـ.
١٥. حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري –دار الفكر –بيروت .
١٦. الحيوان للجاحظ طبعة الكتاب العربي بيروت بتحقيق عبد السلام هارون.
١٧. خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.محمد أبو موسى، ط(٢)، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٠م.
١٨. دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤ .

١٩. ديوان أبي نواس (الحسن بن هاني ت ١٩٥ هـ)، شرح علي فاعور دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط. أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٢٠. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي و ساقط شعره للحاتمي تقديم الدكتور محمد نجم .

٢١. سر الفصاحة سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)،ط:١، دارالكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٢. سرور النفس بدارك الحواس الخمس لأحمد بن يوسف التيفاشي المكتبة الشاملة على النت.

٢٣. سمط اللآلي شرح أمالي القالي. أبو عبيد البكري: ت: عبد العزيز الميمني، ط(٢)، بيروت ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٤. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، للمرزوقي - تحقيق عبد السلام هارون ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٢٥. شرح ديوان المتنبي وضعه عبد الرحمن البرقوني ٣٠٧/٤ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

٢٦. شروح التلخيص دار السرور – بيروت لبنان .

٢٧. الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري تحقيق أحمد محمد شاكر دار المعارف مصر .
٢٨. الصدق والكذب في الشعر مقالة للدكتور / محمد سعد فشوان – الموسوعة الإسلامية على النت.
٢٩. طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .
٣٠. طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي دار المدني بجدة .
٣١. العزفُ على أنوار الذِّكر– معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة – إعداد:محمود توفيق .
٣٢. العقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط الاستقامة ١٩٥٣ .
٣٣. العمدة في مَحَاسِن الشعر وآدابه ونقده . أبو الحَسَن بن رشيق القيرواني الأزدي . ت ٤٥٦ هـ . تحقيق : مُحَمَّد محيي الدِّيْن عَبْد الحميد دار الجيل . بيروت . لبنان . (د . ت .) الآية ١٨ .
٣٤. عيون الأخبار لابن قتيبة. طبع دار الكتب ١٣٤٣ .
٣٥. فهرس شعراء الموسوعة الشعرية على النت .
٣٦. الفهرست لابن النديم. نشر دار المعرفة بيروت .

٣٧. في الشعرية العربية قراءة جديدة لعيار الشعر د / طراد الكبيسي موقع اتحاد الكتاب على النت .

٣٨. قضيه الشعر الجاهلى فى كتاب ابن سلام - محمود محمد شاكر - مطبعه المدني.

٣٩. قطرات الندى :دراسة في معالم الطريق إلى فقه الشعر لمحمود توفيق.

٤٠. قواعد الشعر لثعلب - دار المعرفة ١٩٦٦.

٤١. الكامل في اللغة والأدب ، المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد النحوي ت ٢٨٥ هـ ، تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الرابعة . مَكْتَبَة الخانجي بالقاهرة - ١٩٨٧ م .

٤٢. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر – بيروت.

٤٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ضياء الدِّيْن نصر الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد الكَرِيْم الموصلي أبو الفتح . ت ٦٣٧ هـ . تحقيق : مُحَمَّد محيي الدِّيْن عَبْد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت . ط١ . ١٩٩٥ م.

٤٤. مراجعات في أصول الدرس البلاغي لمحمد محمد أبي موسى / ١٨٩ مكتبة وهبة القاهرة ط / الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٥. المعاني الكبير. ابن قتيبة الدينوري: ط(١)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٦. معجم الأدباء لياقوت الحمويّ، ط٣، ١٤٠٠هـ، دار الفكر، بيروت.
٤٧. معجم ما استعجم، للبكري. تحقيق الأستاذ السقا. طبع لجنة التأليف ١٣٦٤.
٤٨. الموازنة بين أبي تمام والبحتري، للحسن بن بشر الأمدي تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار المسيرة، بيروت (مصورة عن نسخة صادرة سنة ١٩٤٤)، ص١١.
٤٩. الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره طبعت في بيروت سنة ١٩٦٥ بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم.
٥٠. نظرية النظم وقراءة الشعر عند عبد القاهر الجرجاني المؤلف : محمود توفيق محمد سعد موقع اتحاد الكتاب العرب على النت .
٥١. نقد الشعر، لقدامة.بن جعفر طبع الجوائب ١٣٠٢ القسطنطينية.
٥٢. النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٥٣. وحدة القصيدة في عيار الشعر لخليل الموسى – مقالة في مجلة التراث العربي العدد ١١١ السنة الثامنة والعشرون عدد رمضان ١٤٢٤ هـ.
٥٤. يتيمة الدهر للثعالبي طبع دمشق ١٣٠٣.